





عودة مهاجر



منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

٢١

جمال شاهين

٢٠٢٥



عودة مهاجر

٦

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

عودة مهاجر

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



٦

كان الشباب من جيلي وحيي يكثرون الحديث عن الهجرة للأميركتين وان المال هناك بالشولات والملايين ، فطمعت نفسي بالهجرة لتلك البلاد والغرف من تلك الملايين ، والديّ يرفضان ذلك المشروع بقوة ، فزوجاني من ابنة خالتي طمعا بألا أهاجر ، وبعد ولادة ابنتي صفاء تمكنت من السفر والهجرة بدون إذن احد وبدون علم احد .. هربت قل ذلك !

وصلت البرازيل بعد جهد ، ولم تكن الحياة سهلة فيها لمغترب جاهل مثلي لا احمل أي شهادة علمية ، كانت أيامي بين المقاهي والملاهي والمخدرات ، تزوجت فتاة أمريكية من أصول عربية ولما حملت بابنتي صوفي ابتعدنا عن بعض بالتي هي احسن رحلت لكولومبيا وعشت بها سنوات مع أبناء العرب ، ثم هربت لفلوريدا جنوب الولايات المتحدة لما علمت أن زوجتي اللبنانية الأصل حامل ، كنت اكره حمل النساء في تلك الديار لعقدة نفسية وهي عدم الثقة بالنساء بعدم الخيانة الزوجية ، وكانت فلوريدا المحطة الأخيرة في رحلة الهجرة ، فبعد حادث صعب عدت للوطن وانتهت الغربة ، فوجدت القوم يبغضونني ولا يريدون التعرف عليّ خشية على مناصبهم المعنوية والأدبية ، ثم ابتعت قصرا في اهم ضاحية من ضواحي المدينة واستثمرت الأموال التي جمعتها في رحلة الغربة العجيبة ، وعادت لي ابنتي صوفي التي ولدتها دينا شال بعد انفصالنا في الغربة ، وتزوجت دينا من جديد ، ورجعت لي صفاء الطفلة الرضيعة قبل الهرب .. صافي عياد

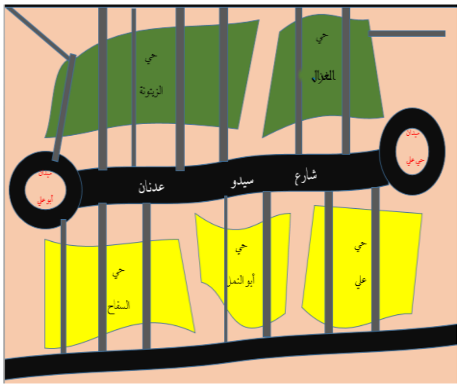


جمال شاهين

عودة مهاجر

رحلة إلى اليونان

شارع سيدو عدنان ذكرنا في حكايات سابقة انه شارع يمتد لخمس كيلو متر طولا ويحيط به من طرفيه خمسة أحياء رئيسية ؛ لأن هناك أحياء صغيرة داخل هذه الأحياء ، هذه القصة بدأت من حي علي الواقع جنوب الشارع الرئيسي ، كان صافي عياد واحدا من سبعة أبناء للسيد عياد هو اصغر الذكور الثلاثة ، تزوج عياد صوفة رزق ، وسكن الحي بعد انجاب الأطفال الثلاثة الأول ، وكان اصغر من صافي بنتين أسماء وناهد ، فهو من مواليد الحي ، وكان عياد يعيش في شقة صغيرة ، تمكن من امتلاكها من قريب له باعه إياها على دفعات أو كما يقال بالتقسيط ،



لم تكن حياته الاقتصادية قوية ، بدأ حياته الشغل كسائق سيارة أجرة على خط سرفيس كما يقال بين مركز المدينة واحد الأحياء أو قل مجموعة من الأحياء يعبر من خلالها إلى نهاية خط سيره . وبعد زواجه من صوفة عاش في شقة مستأجرة ، وبعد ولادة الثالث رحل لحي علي في الشارع المذكور ، ثم اشتغل فترة موظفا كسائق في دائرة حكومية مدة تزيد عن عشر سنوات قبل أن يطرد منها لعدم التزامه الدائم بالعمل الوظيفي ، فعاد للشغل على سيارة أجرة لأحد مكاتب السيارات التكاسي الصفراء التي تنقل الزبائن بدون التقيد بخط سير معين .. ويطلق عليها تكاسي عداد أو عداد للاختصار .. تكون الأجرة حسب المسافة المقطوعة .

أما الشاب صافي عياد فلما فشل في التحصيل المدرسي، ولم يصل للثانوية العامة ترك المدرسة غير آسف عليها في الأول الثانوي ابن ستة عشر عاما ، واخذ يفكر بالسفر والهجرة ككثير من رفاقه في الحي وغيره ، فكانت أحلام الهجرة للغرب من أحلام المراهقين في تلك الفترة من الزمن العربي السياسي الكثير الانقلابات والثورات ، اشتغل فترة مع قريب لزميله سامر في البيع في محل بقالة ، ولما جمع بعض المال رافق سامرا بالسفر لليونان عن طريق البحر ، فلسامر أقارب

يعملون في موانئ اليونان والشواطئ الشمالية للمتوسط ، وكان عملهم عمال بواخر تفريغ وتحميل البواخر بالبضاعة ، وبعد حين انتقل لإسبانيا ، وكان الشاب قبل رحلة الهجرة قد تزوج من ابنة خالته ليكف عن حلم الهجرة ومغادرة البلد وولدت له طفلا سماه نشأت على اسم والد أبيه وبنتا سماها صفاء ، ومع ذلك القيد والرباط سافر لليونان دون إخطارهم برحيله مثل الهارب من المسؤولية والعائلة ، ومن إسبانيا هاجر للبرازيل في الجزء الغربي



من العالم في أمريكا اللاتينية ، فالبرازيل دولة ذات مساحة كبيرة ، ويهاجر إليها العرب من أواخر الحكم العثماني لبلاد الشام والعراق ؛ ربما من قرن مضى وفي حي العرب المشهور في ساو باولو استقر به المقام بعمر ثلاث وعشرين سنة .

لم يجد صعوبة باستخدام اللسان العربي في الحي العربي واغلب الناس فيه من سوريا ولبنان والمغرب وفلسطين ؛ ولكن الأجيال الجديدة كانت لغتها العربية صعبة ، بل قد تجد عربا لا يفقهون شيئا بالعربية أو لهجات بلادهم ، ولكنه استطاع التعايش معهم والتأقلم ، فأغلب العرب يعملون في التجارة والملابس أو مصانع السكر والقهوة ، بعد زمن يسير استقل للعمل في مقهى سوري يقدم خدمات للزبائن بمعنى نادل أو جرسون ، والعمل يشابه العمل في بلاد العرب بنقل الطلبات من مطبخ المقهى إلى موائد الزبائن ، وعادة المقهى يكتظ بهم ليلا بعد نهار عمل ، وكان في المقهى منصة قد يدعى إليها مطرب شعبي أو زجال عربي ؛ فكأنك تعيش في مقاهي الشام وبيروت .

***

ساو باولو من أكبر مدن البرازيل وحاضرة ولاية ساو باولو في جنوب شرق البلاد ، تنطق أحيانا سان باولو ، تقع على بعد ٤٠٠ كم من مدينة ريو دي جانيرو العاصمة الأولى والقديمة و١٠٣٠ كم من العاصمة برازيليا تعتبر أكبر مدينة في البرازيل وأمريكا الجنوبية من

حيث السكان ورابع أكبر مدن العالم ، اسم المدينة تعني القديس بولس باللغة البرتغالية ، جذبت المدنية الاهتمام إليها لزراعتها وتصديرها للسكر ومن بعدها القهوة وتحولت إلى المركز التجاري الأول في البرازيل إلى هذا اليوم ، اللغة التي يتحدث بها الغالبية العظمى من السكان هي اللغة البرتغالية ، هناك بعض الاختلاف بين البرتغالية البرازيلية والبرتغالية في البرتغال بسبب تأثر اللغة بالعديد من اللغات الأجنبية الأخرى مثل الإيطالية الإنجليزية، الإسبانية وتأثير أقل من الألمانية والعربية ، المدينة تعاني من مشاكل اجتماعية وطبقية عادية في البرازيل حيث جزء من المدينة القريب من المركز أكثر نمواً وأغنى اقتصادياً، والأحياء الأبعد عن المركز تعاني من نقص في البنية التحتية .. وتعاني المدينة من دخل غير عادل كبقية البرازيل ، الأنهار الرئيسية التي تمر في ساو باولو : ثلاثة نهر تييتي بينيروس وتاماندواتيي



اعلم أن ساو باولو أكبر مركز ثقافي ، ترفيهي في البرازيل ، وتعتبر أغنى مدينة في أمريكا الجنوبية ، تعاني ساو باولو من مشاكل كأي مدينة بحجمها كازدحام السير في المدينة، يقدر وجود سيارة واحدة لكل شخصين في ساو باولو ، المدينة لديها ثاني أكبر عدد طائرات مروحية في العالم ، كثرة المهاجرين وتنوع ثقافاتهم جعل من ساو باولو مدينة متنوعة في ثقافتها وطعامها يوجد مقاهي عربية في البرازيل، وبعضها يقدم تجربة طعام وشراب تقليدية من مختلف الثقافات العربية ، هناك مطاعم تقدم وجبات تقليدية من مختلف الثقافات العربية ، ويعتبر مكانًا للأشخاص الذين يبحثون عن تواصل مع ثقافتهم، بالإضافة إلى ذلك ، هناك مطاعم أخرى في مدن مختلفة بالبرازيل تقدم مأكولات عربية شامية لبنانية مصرية فلسطينية .



يوجد جالية عربية كبيرة في البرازيل، وتشكل نسبة كبيرة من السكان في بعض المدن ، تأثر المطبخ البرازيلي بالمطبخ العربي من خلال المهاجرين العرب الذين استقروا في البرازيل . للعلم والمعرفة البرازيل هي أكبر منتج للقهوة في العالم ، وتشتهر بقهوة أرابيكا .

***

كان الدخل لصافي مقبولا يؤدي للعيش في بيت صغير وطعام ولهو ، والشاب تعلم الشراب قبل هجرته لليونان وأثناء وجوده في اليونان ، بدأ بالنبيذ ثم إلى أنواع أخرى من الشراب الأقوى والأكثر كحولا ، واخذ يتعرف على الناس بسرعة لنطقهم باللسان العربي خاصة الكبار في السن ، ويفهم على الأجيال الجديدة ، وكان يجلس في المقهى صغار وكبار وفتيات شابات ، يتحدث الكبار في الغالب عن الحنين إلى بلادهم وقراهم ، والأسباب التي



دفعتهم للهجرة منها ؛ لتلك البلاد البعيدة ، وكذلك ضعف الاقتصاد المحلي في بلادهم حيث دفعتهم للهجرة ، وبعضهم هاجر للاضطراب السياسي وكثرة الانقلابات والاضطهاد ففضلوا الهجرة الطوعية ، بدلا من قضاء سنوات العمر في سجون الأنظمة الحاكمة ، ولم يطل به الانتظار كأي مكان مختلط من الجنسين ، صاحب بعض الفتيات اللواتي يرافقن الأبناء والآباء أو الأمهات للسهر والسمر وسماع أخبار الوطن ، أو الانتقال للعمل من مصنع لآخر ، وبعد اكثر من سنة تزوج فتاة تكبره بسنتين بمجرد ورقة في السجل المدني أصبحت زوجة قانونية ، لم يكن هناك محاكم شرعية ، يذهب العروسان إلى مكتب خاص بتسجيل الزواج بدون عقد شرعي ، الفتاة كانت تعمل في حضانة عربية من الصبح حتى العصر والفتاة اسمها دينا شال ، والزواج لا يهتم بدين الشخص أو عرقه أو لونه ، شبيه بزواج بوي فرند الغربي ؛ ولكنه معترف به بين الناس ومعروف أن فلان تزوج فلانة ، وهناك زواج ديني للذين يتمسكون بالدين فيكتبه كاتب أو شيخ شرعي ويسجل أيضا في السجل المدني اذا احب الفريقان ذلك ، لأن هناك يمكن للرجل

أن يقيم علاقة جنسية بدون عقد ، المهم الاتفاق والرضا كالغرب تماما ؛ وإنما يكون التسجيل لحفظ الحقوق حالة الوفاة أو الانفصال ، وقد يكون الزواج كنسي اذا رغب المتعاقدان بذلك ؛ لأن اغلب سكان البرازيل من النصارى حتى أوائل المهاجرين العرب كانوا من الطوائف العربية النصرانية بزعم الاضطهاد العثماني

تزوج صافي من دينا شال ، وعاشا معا سنة واحدة ثم انقصلت عنه ، وتركت وهجرت السهر في مقهاه ، والسبب أن عادت يوما من العمل ووجدت في فراشها فتاة ليل رأتها كذا مرة في المقهى ، ولم يشفع له حملها منه بالعودة ، واستسلم للانفصال .

***

الزواج البرازيلي

في البرازيل نوعان رئيسيان من الزواج :الزواج المدني والزواج الديني ، الزواج المدني هو الزواج القانوني الذي يتم تسجيله رسميًا لدى الدولة ، بينما الزواج الديني هو زواج يتم وفقًا لطقوس دينية حسب الطائفة المنتمي لها الفريقان ؛ بالإضافة إلى ذلك، هناك أيضًا اتحادات غير رسمية أو تعايش بين شخصين ، والتي قد لا تكون مسجلة رسميًا ؛ ولكنها معترف بها اجتماعيًا .

الزواج المدني: هو الزواج القانوني الذي يتم تسجيله لدى مكتب السجل المدني ، يتطلب الزواج المدني في البرازيل عملية تأهيل قبل أن يصبح ساري المفعول ، يجب على الزوجين الحضور معًا إلى مكتب السجل المدني ، وتقديم طلب الزواج مع الوثائق المطلوبة ، يجب أن يكون الزوجان مؤهلين قانونيًا وخاليين من أي عوائق .

الحد الأدنى لسن الزواج في البرازيل هو ١٨ عامًا ، ولكن يجوز للقاصرين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و١٧ عامًا الزواج بموافقة الوالدين أو الوصي القانوني .

أما الزواج الديني فيتم الزواج الديني وفقًا لطقوس دينية معينة ، قد يكون الزواج الديني مسجلًا رسميًا أو غير مسجل ، في بعض الحالات ، قد يتم إجراء الزواج الديني بالتزامن مع الزواج المدني .

أما الاتحادات غير الرسمية تعايش فهي علاقات بين شخصين يعيشان معًا كزوجين ، ولكنها غير مسجلة رسميًا لدى الدولة ، قد تكون هذه الاتحادات معترف بها اجتماعيًا ويقبلها المجتمع البرازيلي ، ولكنها لا تتمتع بنفس الحقوق والالتزامات القانونية التي يتمتع بها الزواج المدني .

في البرازيل يتم الاعتراف بزواج المثليين على المستوى الوطني .. زواج الأقارب له معدلات أعلى في المناطق الداخلية الشمالية الشرقية من البرازيل .

يتمتع الأزواج في الزواج المدني في البرازيل بحقوق ومسؤوليات قانونية مشتركة ، مثل المشاركة في الممتلكات ، ٢٦٪ من الفتيات البرازيليات يتزوجن أو يدخلن في اتحاد قبل سن ١٨ عامًا و ٦ ٪ يتزوجن أو يدخلن في اتحاد قبل سن ١٥ عامًا .

*ويضاف في البرازيل يتخذ زواج الأطفال ، والزواج المبكر ، والزواج القسري (**CEFMU**) شكلَي زواج مدني أو ديني قانونيين ، مسجلين رسميًا، أو اتحادات غير رسمية، أو تعايشًا، وغالبًا ما يكون التمييز بين هذه الأشكال الثلاثة غير واضح . . إن زواج الأطفال والزواج المبكر والقسري والاتحادات مدفوعة بعدم المساواة بين الجنسين والاعتقاد بأن الفتيات أدنى من الأولاد بطريقة أو بأخرى. .حمل المراهقات :يُعتبر الحمل عاملاً مؤثراً رئيسياً في **CEFMU** في البرازيل، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً برغبة الأسرة في حماية شرفها .*

تتعرض بعض الفتيات لضغوط من أمهاتهن وجداتهن للزواج إذا بدأن بممارسة الجنس قبل الزواج ، يرتبط فقدان العذرية أحياناً بالعدم . . بين عامي ٢٠١٥ و٢٠٢٠ ، بلغ معدل المواليد بين المراهقات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و١٩ عاماً ٤٩ ولادة لكل ١٠٠٠ فتاة ، في عام ٢٠١٩ ،سُجِّل ما يقرب من ٢٥٥ , ٤١٩ طفلاً لأمهات مراهقات ؛ وكان أعلى معدل في المنطقة الشمالية الشرقية من البرازيل ، حيث بلغ ٥٦٨ ,١٤٣ طفلاً .

العنف ضد النساء والفتيات وفقًا لدراسة أُجريت عام ٢٠١٩ ، تتزوج بعض الفتيات في البرازيل أو يدخلن في علاقات زوجية كوسيلة للحماية في سياقات تشهد مستويات عالية من العنف الحضري الذي تُسيطر عليه الدولة والعصابات. كما وردت تقارير عن زواج فتيات من تجار مخدرات يعملون في الأحياء الفقيرة منخفضة الدخل.

ترى بعض الفتيات أن الزواج هو السبيل الوحيد للتأثير على حياتهن والسعي إلى الحرية ، أحيانًا يُنظر إلى خيار الفتاة مغادرة المنزل والزواج على أنه تمرد على قمع الوالدين ، والذي بدوره ينبع من قلقهم على سمعة الأسرة وخوفهم من حمل بناتهم خارج إطار الزواج . . ترى بعض الفتيات والفتيان الزواج بمثابة معبر إلى مرحلة البلوغ . . ويوازن هذا التوتر بين تحمل الفتيات مسؤوليات الكبار وتربية الأطفال ، بينما لا يزلن يلعبن بالدمى ويتصرفن بتصرفات طفولية .

تعمل التعاليم الإنجيلية والبروتستانتية والكاثوليكية على توجيه المعايير الجنسانية المتعلقة

*بالعذرية والحمل والإجهاض والتي تمكن وتستخدم أحيانًا لتبرير **CEFMU** في البرازيل. في حين أن ١٨ عامًا هو الحد الأدنى لسن الزواج ، فبموجب القانون المدني لعام ٢٠٠٢ ، يمكن للفتيات والفتيان الذين يبلغون من العمر ١٦ عامًا الزواج بموافقة أحد الوالدين أو ممثليهم القانونيين.*

***



الانفصال

تعقدت حياة صافي بعد انفصاله عن دينا شال بزواج مدني كما سبق الكلام ، واكثر من مصاحبة بنات الهوى والعاهرات ، وأنجبت له دينا شال بنتا سماها صوفي ، واضطر مكرها بإرسال نفقة لها عن طريق محكمة مدنية ، وهو النظام الشائع في دول أمريكا اللاتينية .

لما علم مدير المقهى أن العامل صافي يروج للمخدرات داخل المقهى طلب منه ترك العمل ، ولم يعد له مكان فيه ، فمكسب المخدرات كبير ومغري للجنسين ، فأحد رواد المقهى اشفق عليه وتوسط له للعمل في ملهى ليلي كنادل فبدل أن ينقل القهوة والشاي والطعام صار يوزع الخمور والحلوى ، وما يوفره الملهى لزبائنه من العرب وغيرهم ، فوجد أن الملهى يختلط به سكان المدينة وليس خاصا بالعرب.. ساو باولو تقدم مجموعة واسعة من الأماكن الليلية، بما في ذلك النوادي الراقصة والحانات التي تقدم الموسيقى الحية والفعاليات المتنوعة .

فكان يشرب الكحول ويأكل على حساب الملهى ومطعمه ، وانغمس في مواعدة زانيات الملهى حتى أعلمته فتاة راقصة أنها حملت منه ، فطار صوابه وانكر حملها منه ، فقالت متحدية : بعد الولادة اعمل فحص الجينات يا محترم.

فلزم الصمت وزاد عيار الشرب والتحشيش ، وأخذ يفكر بالالتحاق بمنظمة مخدرات وتوزيعها ؛ ليكسب مالا اكثر ، فقد تعرف أثناء عمله في المقهى العربي على بعض تجارها ومروجيها ، فالتقى بأحدهم وشكى له ضعف الدخل ، ورغبته ببيع المخدرات ونقلها ، فوعده الرجل بتدبير ذلك بعد حين ، وبين له الرجل ناصحا خطر المشي مع العصابات بسبب تنافس تجار الأحياء على النفوذ والتوزيع .

***

لم تكن حياة المهاجر صافي للبرازيل سهلة ، فهو لم يكن يحمل شهادة علمية ؛ لتكون له وسيلة للعمل في مهنة مريحة ، فهو يحمل شهادة عامل وعتال موانئ ، وقد تراكمت عليه الديون بسبب الاستغراق في المتع النسائية وشرب الخمر وشراء المخدرات المنتشرة في شوارع ساو باولو ، في

قلب تلك المدينة ساو باولو البرازيلية ـ ربما تعد أكبر مدينة في الأميركتين ، ويبلغ عدد سكانها ١٢ مليون نسمة ـ تقع كراكولانديا . . تُعرف هذه المنطقة ، التي تُعرف حرفيًا باسم أرض الكوكايين ، بأنها منطقة خطرة يرتادها ويسكنها المشردون ومدمنو المخدرات ، يفتقرون إلى المأوى والمياه والصرف الصحي ، وبسبب نقص الخدمات العامة في المدينة ، وفرت المنظمات غير الحكومية الطعام والعمل والترفيه لهؤلاء الأشخاص الأكثر ضعفًا لسنوات عديدة .

***

تعتبر هذ المنطقة في ساو بلد الكراك (مخدر أول ما صنع في أمريكا) وتعاطيه في العالم ، ووفقا لتقرير، أصدرته مؤسسة "أزوالد كروز" الحكومية، فإن هناك ٣٧٠ ألف برازيلى بينهم ٥٠ ألف قاصر يتعاطون الكوكايين بانتظام في المدن الرئيسية، فيما يبلغ عدد المدمنين في العاصمة البرازيلية ريو دي جانيرو مليون متعاط .

يستمر مئات الرجال والنساء في تمضية الوقت في استهلاك "الكراك" في شوارع حي متداعٍ وسط مدينة ساو باولو الكبيرة في البرازيل ، حيث تمكنت عملية للشرطة قبل سنة من طرد ألف من مدمني المخدرات هؤلاء ، وتفوح رائحة النفايات والبول من هذا الحي المعروف بـ "كراكولانديا" ، حيث تركز حكومة ولاية ساو باولو تحركاتها لتطبيق إجراء جذري جديد، وهو إدخال البالغين مدمني الكراك إلزاميا إلى مراكز للإقلاع والعلاج عن الإدمان ، والكراك هو أحد مشتقات الكوكايين اشهر مخدر في أمريكا الجنوبية ، ويباع بثمن بخمس وله آثار مدمرة ، وتقول امرأة تتجول حافية القدمين بملابس متسخة: "اسمي إيما وأنا أقيم هنا منذ فترة طويلة . . أنا أدخن الكراك . لماذا؟ لأني خسرت كل شيء" . وتشير سكرتيرة العدل في ولاية ساو باولو لوكالة فرانس برس إن "الوضع تحسن . . الكثير من المدمنين أدخل إلى مراكز العلاج والكثير من التجار أودع السجن ، إلا أن المشكلة معقدة جداً" ، مؤكدة أن الهدف هو "إقامة نظام يسهل عملية الإدخال غير الطوعية إلى المراكز ، إذ إن ثمة أشخاصاً باتوا في أوضاع صعبة جداً وحياتهم مهددة، وعلى الدولة أن تتدخل" . وتشدد على أن " هذه حالات صعبة جدا، ولا

يسعنا أن نترك أصحابها يموتون" ، مبينة أن عائلات المدمنين تطلب إدخالهم إلى هذه المراكز، أو قد يصدر القرار عن فريق مؤلف من طبيب وقاضٍ في أكثر الحالات خطورة.. وتؤكد أن " هذا الأمر لن يحل المشكلة،لكنه سيساعد في حلها" مشيرة إلى أن ساو باولو قادرة راهناً على استيعاب ٧٠٠ مدمن.. وبينما يسدل الليل ستاره في أحد الأزقة يشعل الكثير من الأشخاص غليون الكراك ، في حين تبحث فتيات الليل عن زبائن ، بينما يقوم البعض الآخر بالتسول لشراء المخدرات ، وللمفارقة فإن الزقاق الذي يجتمع فيه المدمنون اسمه " شارع الانتصار" ، ويعلق أحد الشبان على هذا الاسم: " إنه بالأحرى انتصار الضياع" بينما يمد يده للحصول على كوب ماء وغليون الكراك في يده الأخرى

***

كان صاحب صافي ومزوده بالكراك وغيره من المخدر قد عرفه على هذا الحي أثناء عمله في المقهى العربي ؛ فكان يتردد عليه للتسلية ، وأخذ يبيع المخدرات فيه كرفيقه العربي الأصل ، واخذ يصحبه لاماكن أخرى في البلاد حتى وصل ريو وبرازيليا العاصمة الأخرى لنقل البضاعة أو جلبها ، وكانت عشيقته قد وضعت له بنتا وخلصه صاحبه منها بوضعها على مدخل كنيسة على أنها ابن غير شرعي فترعاها الكنيسة .. أو تعطيها لأسرة تتبناها وهكذا تخلص صافي من العاهرة ومولودها .

تعرض الشاب للاعتقال من قبل الشرطة أثناء حملات المداهمة لأوكار المخدرات ، وكان يثبت عليه التعاطي اكثر من التجارة فيمكث أياما أو أسابيع ثم يعتق ، ولما اصبح معروفا للبوليس بعد السنوات التي قضاها في ساو رحل جهة ريو بتوصية من رفيقه العربي ابن البرازيل ، وعاش عاملا في البداية في احد مصانع البن متأملا أن يتحسن حاله وصحته بسبب الكثير من الأسقام التي دهمته قبل الرحيل حتى عجز عن البيع والتنقل فتخلصوا منه بترحيله للعاصمة القديمة

***

لم تكن الحياة مريحة لصافي في ريو كان النهار عملا في مصنع لتصنيع البن لتصديره إلى دول كثيرة

في العالم ، *البن البرازيلي معروف بجودته العالية والمتنوعة ، حيث تنتج البرازيل كميات كبيرة من حبوب أرابيكا، وتشتهر بنكهات مختلفة تبعًا لمناطق الزراعة وطرق المعالجة .*

تتراوح جودة البن البرازيلي بين القهوة اليومية ذات النكهة الناعمة والقهوة المتخصصة ذات النكهات المعقدة والفريدة .. تختلف نكهات البن البرازيلي باختلاف المناطق، فبعضها يتميز بنكهات طينية عميقة، والبعض الآخر بنكهات حلوة ومتوازنة .

هناك طرق مختلفة لمعالجة حبوب البن، مثل المعالجة الطبيعية، والغسيل، والعسلية، ولكل طريقة تأثيرها على النكهة والقوام .. يؤثر مستوى التحميص على النكهة ، حيث يتم تحميص البن البرازيلي عادةً إلى درجة متوسطة إلى عالية للاستمتاع بنكهات الشوكولاتة والكراميل .. تسعى البرازيل لإنتاج قهوة عالية الجودة ، سواء كانت قهوة يومية أو قهوة متخصصة .

صناعة القهوة جزء هام من الثقافة والاقتصاد البرازيلي ، مما يعكس الاهتمام بجودة القهوة وتراثه تعد البرازيل أكبر منتج ومصدر لحبوب البن في العالم ، حيث تتميز بنكهة ناعمة تجعلها ذات تحميص داكن نموذجي للغاية . .يتم زراعة ما يقرب من ثلث إنتاج العالم من القهوة في البرازيل، ويتم تسمية معظم قهوة البرازيل الممتازة باسم خاص .

تُصنع العديد من خلطات الإسبريسو عالية الجودة إما من بوربون سانتوس أو سيرادو البرازيلي ، نظرًا لقدرة البن البرازيلي على تحمل التحميص الداكن دون أن يصبح مرًا للغاية . ويعود ذلك جزئيًا إلى النكهة المعتدلة والمتوازنة لحبوب البن البرازيلي. .فتجارة البن مهمة في البرازيل ودول أمريكا اللاتينية ، فكان السيد صافي يشتغل في المصنع غالبا في النهار وفي الليل يقضي الكثير من الوقت في المراقص أو الحانات ، وكانت لغته مع أهل البلاد تحسنت كثيرا فصار يفهم على أهل المدينة ، وصاحب فتاة من اصل ملون واتخذها شريكة بيت بدون عقد زواج مدني عرفها في المصنع وأعجبت به الفتاة ، وقبلت مصاحبته ، وكانا يسهران معا وكانت تغض الطرف عن علاقاته مع فتيات أخريات ، وهو كان يفعل مثلها ، وكانا يتقاسمان أجرة المنزل الأثري والشراكة في الطعام وغيره ، وكان يلاحظ أحيانا تغيبها عن المبيت اكثر من يومين أو

ثلاث أو حتى أسبوع فيظن أنها تبيت عند أصدقاء لمعاشرتهم ، وذات ليلة وهو يسهر في ملهى ليلي أوروبي دخله مرات برفقة (أدريانا) اقترب من شاب قائلا : أنت صديق (أدريانا) أنا لوكاس ديوغو

ـ نعم هل من شيء ؟ أنا صافي عياد .

ـ هل أنت شريكها في السكن ؟

ـ صحيح هل من امر ؟ هل أصابها شر ؟!

ـ تعرضت لحادث وهي في المستشفى وترغب برؤيتك

ـ هل الأمر خطير نحن في نصف الليل ؟

ـ كنت معها أثناء الحادث ولكن إصابتي كانت ضعيفة وطفيفة فخرجت وطلبت مني أن أخبرك .

ـ ما نوع الحادث ؟

ـ تعرضت سيارتنا لإطلاق نار من مجهول ؟

ـ رصاص !!

ـ رصاص .. أصيبت يا صافي برصاصة في الكتف إصابة صعبة وترغب بالحديث معك معي سيارة هيا بنا .

نهض صافي وقال : هي شريكتي في المصنع أيضا

***

لما دخل صافي عليها غرفة المستشفى قبلها ودعا لها بالسلامة وقال الشاب : إلى اللقاء (أدريانا وصافي)

قالت بوهن : شكرا (لوكاس) إلى اللقاء

قال لها : ما القصة ؟

قالت بوهن : لي يومان غائبة عنك وعن المصنع .. كنت في مهمة أنا ولوكاس ديوغو وتعرضنا

لمحاولة قتل

قال بحيرة : ولماذا ؟

ـ أكيد عصابة منافسة

ـ على ماذا تتنافسون ؟

قالت مفسرة الغياب : على بيع الكراك والكوكائين .. ليس كل غيابي عنك بسبب علاقتي مع الرجال .. إنما بنقله إلى أماكن بعيدة

ـ تعملين بالمخدرات والمصنع تغطية

ـ تقريبا يا صافي .. أنت ذكرت لي انك كنت تبيعها في سو

ـ عملت فيها من شدة الحاجة للمال مال العمل ضعيف

ـ قد تشل يدي اليمنى ولدينا كمية سترسل إلى أمريكا واحتاج مساعدتك

ـ وهل يسمح لي بدخول أمريكا ؟

ـ ستذهب سياحة .. وسندبر أمرك

ـ هذه صفقة خطيرة ستكون !

قالت : ستذهب أولا لكولومبيا غرب البرازيل العاصمة بوغوتا وسيذهب معك رفيقي لوكاس الذي أحضرك إلى هنا ستكسب كثيرا إن وصلت بها كاليفورنيا غرب أمريكا .. لا استطيع السفر مع لوكاس ستقوم بالمهمة بدلا عني

ـ الوسائل للوصول إليها كيف ؟

ـ ستكون الرحلة طويلة إلى حد ما .. ستذهبا في البداية إلى كولومبيا ، ثم تعودان إلى هنا بها وتسافر بعدها إلى كوبا جزيرة كوبا وحدك ، ثم لفلوريدا بحرا ومنها للوس أنجلوس .. ستدخل أمريكا ؛ كأنك مهاجر إليها مثل الكوبيين الذين يكرهون النظام الحاكم وتطلب لجوء من الاضطهاد

ـ هذه عملية معقدة وأنا اجهل كل هذه الأماكن

ـ ستلتقي في كل محطة برفاق لنا .. رفاق مهربون .. وتستفيد مالا كثيرا اذا نجحت مهمتك أمريكا بلد الدولارات .. الخطوة الأولى الذهاب لكولومبيا .. أحببت أن أشركك معنا ؛ لعل وضعك المالي يتحسن خفية عن العيون .. فالمال الكثير يجلب الأنظار

ـ سأفكر .. ومتى ستخرجين ؟

ـ يومان أو ثلاثة

***

شقلبت حادثة شريكته في السكن مخ صافي ، فهو منذ هرب من باولو توقف عن توزيع المخدرات ، فقد سببت له أضرارا مع شرطة المخدرات.. وكيف لم يكتشف أن صديقة المصنع مهربة وموزعة ؟ .. فاعتبر تفكيره قاصرا وأنها صاحبته لمثل هذه العمليات ، فاتصل من مكتب بريد برفيق عرفه أثناء بيع الكراك وغيره في باولو ، وهو ترك المدينة مثله بعد أن اصبح مشبوها جدا ، وسأله عن كولومبيا والمخدرات ، فبين له الكهل أن الخطر كبير في تلك البلاد ؛ ولعلها اخطر بلد في تجارة المخدرات في أمريكا الجنوبية ، وفيها عصابات مرعبة تملك طائرات وغواصات للتهريب ، وهو لا يعرف هذه الفتاة أدريانا ، وإنما كان عملها في المصنع تغطية على نشاطها مع العصابات في ريو ، ورحلة كولومبيا غير مطمئنة في نظره ، وسأله من اطلق عليها النار هي ورفيقها فقال : لم توضح كثيرا قالت عصابة

ـ ولماذا اطلقت العصابة عليهم النار ؟ هل كانوا ينقلون بضاعة ؟

ـ لم اعرف .. أنا قلبي غير مطمئن لهذه الرحلة

ـ هل ستذهبان بالسيارة ؟

ـ لا ، سنذهب للعاصمة الجديدة ثم نركب طائرة إلى العاصمة بوغوتا .. وهناك سيكون في انتظارنا احدهم أو اكثر .. ثم سنصل لقرية بسيارة مع فتاة كولومبية لاستلام المخدرات وسنعود بسيارة تحمل لوحة برازيلية ستكون هناك لنعود بها

ـ كم ستقبض بعد كل هذه التنقلات ؟

ـ اذا وصلت إلى هنا سالما سأملك خمسة آلاف دولار أمريكي لي وحدي ، واذا تابعت المهمة لكوبا وكاليفورنيا بسلام سيعطون لي عشرين الف أخرى

ـ الصفقة كبيرة يا صديقي والمبلغ يستحق المغامرة .. تحتاج لجهد وتعب

ـ هل أغامر ؟

قال المستشار : ستكون حياتك في مهب الريح اذا فشلت المهمة .. هل من مجال لتعرفني على صديقتك أدريانا ؟

ـ سأفعل .. فهي دائما تعرفني على أصدقائها

ـ علي بالجلوس معها لأفهمها اكثر .. إن قصة التعرض للاغتيال امر لا يدخل المخ .. رتب لنا معرفة هي طلعت من المستشفى

ـ خرجت ؛ ولكنها ما زالت تعاني وتتردد على المستشفى لمتابعة العلاج

***

التقت أدريانا بصديق شريكها فليكس الكهل ذو الأصل الألماني ، ولم يتحدثوا عن رحلة كولومبيا ، ورحبت الفتاة بصداقة فليكس ولما انصرف قالت لصافي : هذا عرفته في ساو

ـ عملنا معا في بيع الكراك وغيره ، وحبسنا مرات معا ؛ ولكنها مدد قصيرة باعتبارنا متعاطين اكثر منا مروجين؛ لأننا لم تمسك معنا كميات كبيرة ، فذلك لدى الشرطة أننا متعاطون

قالت : أعجبني صديقك .. هل يقبل بالعمل معنا ؟

ـ لا ادري .. منذ رحلنا هنا لم نعمل بها .. عليك أن تصارحيه أنت بذلك .. متى ستبدأ رحلتنا؟

ـ التأخير بسبب الحادث ؛ لأن البوليس لم يعرف من اطلق النار على سيارتنا ، ولما تتوقف التحريات ستذهبان وستلتقي بالقائد لأخذ التعليمات والنفقات والأجرة الأولية بعد العودة والنجاح

ـ هل من خطر علي ؟

ضحكت وقالت : الخطر وارد ، ولابد منه ، ومهمتك النجاة من الخطر .. حتى انني افكر

بصحبتكم لي فترة لم ادخل بلدات كولومبيا ..

***

دعي صافي للقاء في مطعم ضخم في ريو وهناك وجد صديقته أدريانا ورفيقها في الحادث لوكاس ديوغو والقائد الذي سمى نفسه اوسكر وبعد تعارف سريع قال اوسكر : هل استوعبت المهمة التي ستذهب بها ؟

قال : سأرافق لوكاس إلى كولومبيا لشحن كمية كبيرة من الهيروين في سيارة مجهزة بذلك سنستلمها على حدود البيرو ومن البيرو ندخل بها من غرب البرازيل إلى ساو ويستلمها جماعة ونعود لريو بدونها ، وقد نحمل شحنة إلى كوبا بسفينة من شمال البرازيل

ـ جيد هذه الخطوط العريضة كما يقال في الصحف طبعا .. اذا القي القبض على أحدكم لا يعرف أين ستذهب الحمولة ؟ .. إلى البيرو فقط .. لمن لا نعرف ، سنلتقي بعصابة ، كلمة السر بيننا ليون الأسد .. واضح لوكاس

قال لوكاس : متى نسافر ؟

ـ ستغادران أولا إلى برازيليا وهناك ستلتقون بعميل لنا اسمه بيننا كارلوس، وستقبضان المال المناسب للرحلة لوكاس .. وفي بوغوتا تذهبان لتلك القرية لاستلام البضاعة ، وقد يكون معكما مرشد بدلا من الخريطة .. ثم تتحركان بها نحو البيرو والحدود المشتركة مع البرازيل ومنها للبرازيل وساو .. الرحلة طويلة ومتعبة ولكن الأجرة جيدة

***



كولومبيا

كان الأمر شاقا وصعبا على صافي ؛ فهذه أول مغامرة خارج البرازيل ، وتلقى التشجيع والدعم من أدريانا وقالت : لو لا الحادث لقمت أنا بالرحلة يا صديقي .. أنت تحتاج للمال ؛ كما تشكو لي منذ عرفتك .. فأنا لم أتسرع بدفعك لمثل هذه العمليات المعقدة ؛ لكن الحادث سرع إقحامك فيها ، وستجني الكثير من المال بمثل هذه العمليات الكبيرة

ـ وأنا من اجل ذلك سأغامر .. كرهت الفقر والمال القليل فيطير سريعا .. هل وجدتي دورا لفليكس صاحبي ؟

ـ حدثت القائد عنه .. فقال عندما نرى همتك وصبرك .. فلينتظر

***

ركبا من مطار العاصمة البرازيلية إلى بوغوتا عاصمة كولومبيا ، رحلة طيران طويلة زادت عن ست ساعات وقريب من السبعة ، ومن المطار ركبا سيارة أجرة إلى فندق في وسط المدينة ، وبعد اربع وعشرين ساعة من وصولها التقى بهما شاب اسمه اميليو ، وبعد تعارف سريع خرجا من الفندق كسياح ، وفي احد المراقص تناولوا الطعام ، وجلسوا مع فتيات وسكروا بصحبتهن حتى منتصف الليل في تلك المدينة ، ثم غادروا بدون صحبة البنات إلى بيت والتقيا بمهرب ، وأعطاهما اسم القرية التي سيستلمون منها البضاعة والسيارة ليعبروا بها حدود البيرو ومنها إلى غرب البرازيل رحلة تستغرق أياما من السير .

***

تعتبر الحدود بين كولومبيا والبرازيل وبيرو حدودًا دولية مهمة تفصل بين أراضي هذه الدول في أمريكا الجنوبية.. تتمتع هذه الحدود بأهمية كبيرة من الناحية الجغرافية والبيئية والاقتصادية.. تساهم هذه الحدود في تعزيز العلاقات بين الدول المتجاورة في المنطقة .

بعد أيام وصلوا للقرية المقصودة وناموا في احد البيوت الفارغة في القرية ثم احضر اميليو لهم السيارة المحملة بالمخدرات وباللوحة البرازيلية ، وتابع المسير معهم للبيرو .

لما دخلوا البيرو من الشمال تركهم رفيقهم الكولومبي اميليو قرب حدود البرازيل ، وبعد أيام دخلوا البرازيل يتناوبون على قيادة السيارة ، وبعد أيام وصلوا للبرازيل إلى احدى القرى الريفية وهناك استلم السيارة منهم فريق آخر ، وهما ركبا بالطائرة من ساو إلى ريو .. رحلة استمرت شهرا بين تلك البلدان والجبال والأنهار ، ولما ذهب صافي للشقة المستأجرة ، لم يجد صديقته وقيل له إنها اختفت من الشقة ومن المصنع ، فعلم أنها منذ تعرضها للاغتيال لم ترجع للعمل ، فبحث عن صديقة لها في احد ملاهي ريو ، كان بتردد على الملهى معها وعرفته عليها ، حتى صدفها فأخبرته بأنها سافرت لكولومبيا في مهمة ، وبعد أيام التقى به رفيق السفر لوكاس وذهبا لمقابلة القائد اوسكر واستلم كل منهما عشرة آلاف دولار أمريكي ـ هو لم يقل لفليكس عن المبلغ الموعود به بدقة من باب الحذر والاحتياط ـ واخبرهما اوسكر بسفر أدريانا ، ووعدهما بتكليفهما في رحلة أخرى بعد حين واختفى.

***

اتصل صافي بفليكس في موقع عمله واتفقا على اللقاء ، وكان اللقاء في احد مطاعم ريو المعروفة لكليهما وقال فليكس : لقد عدت يا صوفي

ـ لي أيام في البلد طالت الرحلة يا صديقي شهر انتقل بين المدن والريف .. ركبنا الطائرة من برازيليا إلى بوغوتا حتى أننا نمنا فيها من طول الرحلة ، وبعد يومين في فندق قادنا كهل إلى احدى القرى ثم قدموا لنا سيارة بلوحة برازيلية ، ولم نر شيئا سوى سيارة مشينا بها نحن الثلاثة نحو البيرو منطقة الحدود مع كولومبيا ، ثم بعد استراحة يوما كاملا تركنا الرجل لنتابع المسير نحو حدود البرازيل مع البيرو ، ومنها لساو بسيارة أخرى ، فقد استلم فريق السيارة التي دخلنا بها البيرو وحدود البرازيل في احدى البلدات ، وسلمنا السيارة لشخصين وعدنا إلى ريو على حسابنا ، ولما ذهبت لشقتي الصغيرة لم اجد أدريانا شريكة السكن ، والشقة مؤجرة لغيري فأنا انتقل من نزل لآخر ، ثم علمت من رفيقة أدريانا قد تعرفت عليها في ملهى فأخبرتني أنها سافرت لكولمبيا ثم التقيت بالقائد ودفع لي أجرة الرحلة خمسة آلاف دولار أمريكي.. شغل

شهر .. ووعدني برحلة أخرى بعد حين لم يحدده ؛ وربما ستذهب معي كما طلبت منه .. فوعد بذلك ..

ـ لم يكن هناك مخاطر كبيرة

ـ لم نجد أي عوائق تذكر ؛ فكأن حرس الحدود يتعاونون معهم

ـ أنت تملك هذا المبلغ

ـ سددت بعض الديون المتراكمة منذ دخلنا المدينة ، ووضعت الباقي في حسابي .. وانا الآن عاطل عن العمل وليس لدي مأوى .. وأنت ما زلت تعيش مع تلك المرأة الألمانية

ـ ما زلت .. وهي تفكر بالخلاص مني .. فزادت النزاعات بيننا حول الإيجار .. اعتقد أنها صادت رجلا جديدا .. سأصبر حتى نسافر معا .. وأتخلص منها

ودعا صاحبه للسهر في ملهى على ضيافته ، فقبل فليكس الدعوة بعد أن شبعا من المطعم وفي الملهى وجد كل منهما رفيقة ليلة

***

اخبر صافي من قبل رفيقه في رحلة نقل المخدرات لوكاس ديوغو أن عليه الاستعداد لرحلة جديدة ، وكان اللقاء بينهم في نادي ليلي يملكه القائد اوسكر ، علم ذلك بعد تردده عليه لترتيب سفرية أخرى وسترافقه في هذه الرحلة فتاة تجاوز عمرها الثلاثين سنة كما فهم منها ، وانطلقا بالطائرة إلى كولومبيا حتى وصلا العاصمة ، ولما نزلا من الطائرة أوقفتهما شرطة المطار ، ثم تحولا إلى شرطة مكافحة المخدرات ، وقد تبين لصافي أن الفتاة مطلوبة للبوليس من اشهر متهمة بالتهريب ، فلما عرضا على القضاء حكم عليها بالسجن ثلاث سنوات وعدم دخول البلاد بعد انتهاء الحكم بحقها ، وحكم على صافي نصف سنة من يوم توقيفه برفقة المهربة ، وزارهم رجل أثناء التوقيف للعرض على المحكمة المتخصصة بالمهربين ، وانهى المهمة المكلفين بها ، واخبره انه غير صالح للعمل بعد خروجه من السجن ، وعليه أن يبحث عن عمل جديد .. وهذا ما حصل استقر في كولومبيا بين الجالية العربية الكبيرة فيها .

العرب في كولومبيا هم المهاجرون إليها وذريتهم ، معظم هؤلاء المهاجرين من أصول لبنانية وسورية وفلسطينية ، وجاءوا إلى كولومبيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هربًا من الاضطهاد والظروف الاقتصادية الصعبة في أراضيهم الأصلية أو هربا من العسكرية التركية ،التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية . . يتركز وجود العرب في كولومبيا على طول ساحل البحر الكاريبي في الشمال الكولومبي ، خاصة في مدن مثل بارانكويلا ومايكاو وسانتا مارتا وكارتاخينا . . ومع الزمن امتد الوجود العربي إلى داخل كولومبيا ، لتشمل مدنًا مثل بوغوتا العاصمة وكالي .

تعتبر مايكاو من أهم المدن التي تضم جالية عربية كبيرة ، حيث يوجد فيها مسجد عمر بن الخطاب ، وهو ثالث أكبر مسجد في أمريكا اللاتينية، بالإضافة إلى مدرسة إسلامية . . يشكل اللبنانيون أكبر مجموعة عربية في كولومبيا ، حيث يقدر عددهم بمئات الآلاف، وفقًا لموقع ويكيبيديا .

ويمثل السوريون جزءًا هامًا من الجالية العربية في كولومبيا . . ويوجد عدد كبير من الفلسطينيين يتراوح عددهم بين ١٠٠,٠٠٠ و ١٢٠,٠٠٠ نسمة، وفقًا لموقع ويكيبيديا .

كان للعرب دور هام في تطوير التجارة والأعمال في كولومبيا ، خاصة في منطقة البحر الكاريبي اندمج العرب في المجتمع الكولومبي، وساهموا في مختلف المجالات، بما في ذلك السياسة والاقتصاد والثقافة . . على الرغم من الاندماج شبه الكامل ، حافظ العديد من العرب في كولومبيا على هويتهم وثقافتهم العربية .

يتمتع عرب المهجر بتاريخٍ طويلٍ في كولومبيا ، حيث وصلت أول موجة من المهاجرين العرب إلى البلاد في أواخر القرن الـ١٩ ، إذ أبحر المهاجرون من أراضي لبنان ، وسوريا، وفلسطين بحثاً عن ثروات أكبر في الأميركتين. . وانتهت رحلات هجرتهم في مختلف أرجاء الكاريبي ، ويُعتقد أن الفترة ما بين ١٨٦٠ و١٩١٤ قد شهدت انتقال نحو ١,٢ مليون عربي للإقامة في أرجاء أمريكا . . وتسللت أقليةٌ ما إلى كولومبيا بصورةٍ تدريجية ، حيث كان غالبيتهم من اللبنانيين

الذين استقروا بنسبةٍ كبيرة في المدن الشمالية ، مثل بارانكيا ومايكاو .. وتشير التقديرات إلى انتقال ما يتراوح بين ١٠ آلاف و٣٠ ألف مهاجر لبناني إلى كولومبيا ، وذلك بين عامي ١٨٨٠ و١٩٣٠ .. واستقر الكثير من الوافدين الجدد في مايكاو، وهي مدينة صحراوية صغيرة تقع قرب الحدود الفنزويلية في شمالي كولومبيا . . وأوضح كاستيلانوس للموقع البريطاني: " يكمُن سر الجاذبية التي قادت الكثيرين إلى مايكاو في أن المدينة كانت لا تزال في طور النمو.. وقد بدأ اللبنانيون ينظرون إلى مايكاو كخيار بفضل سهولة الوصول إليها وبدء الإنتاج الاقتصادي فيها . . حيث ساعدهم أقاربهم على الاستقرار والمساهمة في الاقتصاد المحلي هناك."

***



حياة في كولومبيا

لا يتوقف الكولومبيون عن الاحتفال ، ويكفي أن نعرف أن عدد الاحتفالات في هذه الدولة الأمريكية الجنوبية يفوق عدد أيام السنة نفسها، ودائما ما تقام الحفلات والمهرجانات، سواء كانت لعدة أيام متواصلة خلال كرنفال بارانكويلا، أو عروض كبيرة خلال مهرجان الزهور، أو حتى عندما يزين مواطنو ساحل الكاريبي الحمير في الشوارع خلال "مهرجان الحمير " بعد الخروج من السجن قرر صافي العيش في كولومبيا ، وانتقل إلى سواحل البحر الكاريبي حيث تنتشر جاليات عربية وصمم عن البعد عن المخدرات والشغل فيها ، وأن يتزوج عربية مهاجرة ، ويفتح متجرا صغيرا كبقالة يعتاش منها ، اشتغل في البداية مع الصيادين ، وعلى مراكب الصيد وكان يتردد على مقاهي الصيد والعرب ، واستمر على ذلك بضع شهور ، ثم التقى بصياد لبناني تبناه واصبح رفيقا له في رحلا ت الصيد البحري ، ثم زوجه الصياد ابنة احد أصحابه المهاجرين واسمها لوسيانا أبوها عربي وأمها من اصل كولومبي ، فذكرته بابنتيه في ساو باولو ، وعمل معهم في الصيد لمدة سنة واكثر ، وكاد في احدى رحلاته في البحر أن يغرق عندما سقط في البحر فجاءة من قوة الريح والعاصفة ، وبذل الصيادون جهدا لإنقاذه وإعادته إلى مركب الصيد ، فبعدها ترك الصيد وعواصفه ، وعاد يفكر بمتجر فأنشأ له والد الفتاة مقهى بحريا واشرك معه ابنته وزوجة ابن له ، فكان المقهى يوفر الشاي والخمر والقهوة وبعض المأكولات الجاهزة كالبسكوت والشكولاتة والنسكافيه وما شابهها من الأشياء الجاهزة للصيادين ومن جاء لشراء السمك الطازج من التجار والعامة ، وكانت مهنة لا تحتاج إلى جهد كبير ، فأكثر المأكولات توزع من سيارات توزيع تابعة لشركات بيع المواد الغذائية والحلوى الصناعية



***

علم صافي من عمه والد لوسيانا أن زوجته حامل منه ، فلم يظهر الفرح على وجهه كما كان العم متوقعا ؛ بل قال : أليس مبكرا يا أبا إلياس على الخلفة ومتاعبها ؟!



قال الرجل بدهشة : مبكرا يا رجل أنت عمرك فوق الخمس وثلاثين ؛ وليس لك ذرية ولا زوجة قضيت عمرك في أحضان بنات الهوا

ـ قصدي استقرار زواجنا .. فابنتك تتذمر مني كثيرا .. وترى أن زواجها مني غلطة .

ـ ابنتي تتذمر منك كثيرا .. لماذا تتذمر الملعونة ؟ وترى أن زواجها منك غلطة !

ـ من شغلي بالمقهى هذا .. تزعم أن شغله لا يطعم عصفورا ولا سمكة

ـ هي تقول ذلك .. لقد كانت تتغزل فيك وفي نشاطك في الصيد

ـ تريد بأن أعود للبحر الذي كاد أن يبتلعني لولا رحمة الله .. تزعم أن البحر مكسبه كثير

ـ أنت كما قال لي معلمك السابق لولا فضل الله عليك لأصبحت طعاما لأسماك القرش في البحر ما كان عليك أن تعود للشراب والسكر

ـ تعودت عليه منذ سافرت لليونان وجنوب إيطاليا

قال : المهم امرأتك في بطنها طفل .. عليك يا صافي أن تفرح وأنا سأتكلم مع ابنتي لتكف عن التذمر .. هي في القهوة الآن

ـ نعم مع سرورا أم خنوص

ـ ابق عند حلقة السمك حتى أعود

كان صافي عندما يحتاجه عمه للبيع معه في سوق السمك يقف معه ويساعده حتى ينتهي بيع الصيد فيعود لشغل القهوة .

***

ذهب صافي للمحل الصغير حيث يبيع وزوجته وزوجة شقيقها القهوة والمشروبات للذين

يحضرون للصيد ولشراء السمك ، فلما جلس وطلب لنفسه كوبا من الشاي فقالت الزوجة بغل : شكوتني لأبي

ـ شكوتك لأبيك .. اخبرني بأنك حامل .. فاستغربت الأب يعرف قبل الزوج

وضعت الفتاة الأخرى الشاي على مائدة جلس قربها فشكرها برأسه فقالت : جاء أبي يقول انك غضبان مني وتتذمر مني

قال وهو يقف يبحث عن علبة السجائر : وهل كذبت عليك يا بنت الناس ؟

اقتربت منه قائلة : لا ترغب بالحمل يا معلم !

ـ لم احب العجلة

فتلقى صفعة قوية على وجهه ؛ ربما رن صداها في السوق كله فوضع يده على وجهه وقال : لماذا صفعتيني يا بنت الأشرار ؟

ـ عمرك كبير .. ولنا سنتان نعيش في بيت واحد .. وحان وقت الخلفة .. أنا مستعجلة

ـ أنت مستعجلة !..ولأنك مستعجلة تضربينني حتى كدت أن اسقط عن الكرسي

وصفعته كفا ثانيا وقال : هل جننت ؟ أنت طالق مع السلامة

ـ أنت مع السلامة لا أريد أن أرى وجهك في المنطقة

بصق عليها وخرج مسرعا وهو يقول لزوجة أخيها : اخبري أباها اني طلقت ابنته العاهرة وذهب إلى البنك وسحب مالا ، وترك المنطقة جهة العاصمة الكبيرة بوغوتا ، وبعد أيام سافر لأمريكا الشمالية جهة فلوريدا ، وترك أمريكا الجنوبية كلها وهو يقول يكفي ثماني عشرة سنة واشتغل بنادي ليلي كما اشتغل بمثل ذلك في ساو باولو ، وعلم والد الزوجة بأن الرجل غادر البلاد جهة الشمال كما أخبرته دوائر الدولة فقال الأب لابنته لما تيقن من الخبر : عليك بإنزال الجنين قد هرب أبوه .

أصرت على الاحتفاظ به فهددها بالطرد من بيت الأسرة قائلا : أنا اعرف غباءك وحمقك من أيام زوجك الأول .. كيف تصفعين الرجل أمام الزبائن وزوجة شقيقك ؟!

صاحت بشدة : أنا بغضته كرهته .. كانت فرصة لأخلص منه

ـ كذب! قبل المشكلة قلت لي انني احبه ومتفاهمة معه على الحمل ؛ وكأنه نسي حاجتنا لطفل

***

لم يجد راحة في ولاية فلوريدا وفي شغله في خدمة الزبائن بعد شهور من الخدمة ، ففكر بالرحيل لنيويورك عاصمة المال الأمريكي ، ولكن احد الزبائن عرض عليه العمل في مصنع يملكه كخادم مصنع ، فذهب للمصنع لينظر الوظيفة المعروضة عليه ، فكانت هي تقديم الضيافة لزوار مكتب المدير بسبب مرض الخادم الذي قبله ، فقبل العمل مع آلين في مصنع يبيع ملابس أطفال يصنعها المصنع وتوزع في بعض ولايات ومدن أمريكا ، وبعد شهور وجد شريكة غرفة تعمل في المصنع فعاشا معا كعشيقين .. وكانت المرأة اكبر منه بسنوات ، وقبلها لتناصف نفقات البيت أو الشقة ، فهي كبيرة وقديمة ، واتفقا ألا يأتي احدهم برفاقه للشقة لممارسة الجنس والحب كما يسمونه ؛ إنما الشقة للنوم والاستراحة والطعام عند الحاجة ومن اخل بالشرط حق لصاحبه بترك الشراكة وفسخها ، ولم يكن بينهم زواج بأي شكل من الأشكال .

***

قضى ثلاث سنوات في مهنة خادم لمكتب مصنع الين وذات صباح قال له المدير : أنت كما قلت لي اكثر من مرة ترغب بالعمل كموزع ملابس على احدى سيارات الشركة يا صوف

ـ نعم ، عملت في البرازيل سنوات موزعا للبضائع لاحد المصانع

ـ عندما يستلم الصيني صن عملك ستعمل مع فريق التوزيع

وهذا ما حصل جاء كهل صيني يعمل مكان صافي ، ورحل إلى قسم بيع ونقل البضاعة وكانت في البداية رحلات داخل الولاية الكبيرة ، ثم بعد حين إلى ولايات مجاورة .

***

ولاية جنوبية

فلوريدا أو إفلُورِدة أرض الزهور ، هي تقع في جنوب شرق الولايات المتحدة .يحدها من الغرب خليج المكسيك وإلى الشمال ولايات ألاباما وجورجيا إلى الشرق المحيط الأطلسي وإلى الجنوب مضيق فلوريدا وكوبا ،ترتيب فلوريدا هو الثاني والعشرين من حيث المساحة ، والثالث من حيث عدد السكان ، والثامن من حيث الكثافة السكانية في الولايات المتحدة .



جاكسونفيل هي أكبر البلديات من حيث السكان على مستوى الولاية ، وهي أكبر مدينة من حيث المساحة في الولايات الأمريكية المتجاورة .

منطقة ميامي الكبرى هي أكبر منطقة حضرية من حيث السكان في فلوريدا ، عاصمة الولاية هي مدينة تالاهاسي.. فلوريدا هي شبه جزيرة بين خليج المكسيك والمحيط الأطلسي ومضيق فلوريدا ، ولها أطول خط ساحلي في الولايات المتحدة المتاخمة بطول حوالي (٢,١٧٠ كم)، وهي الولاية الوحيدة التي تحد كلا من خليج المكسيك والمحيط الأطلسي.. ويقع جزء كبير من أرض الولاية عند مستوى سطح البحر أو بالقرب منه .. يختلف المناخ من شبه استوائي في الشمال إلى استوائي في الجنوب ..وهي موطن لعدة حيوانات مثل القاطور الأمريكي والتمساح الأمريكي ، ونمر فلوريدا ، وخروف البحر ويمكن العثور عليها في حديقة إيفرغلاديس الوطنية .

ويعتمد اقتصاد الولاية أساسًا على السياحة والزراعة والنقل الذي تطور في أواخر القرن التاسع عشر.. وتشتهر ولاية فلوريدا أيضًا بالمتنزهات ، ومحاصيل البرتقال ، وبكونها وجهة مفضلة للمتقاعدين.

أورلاندو والتي تعتبر مدينة الترفيه الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية ؛ حيث يعيش صافي عياد ، ميامي في اقصى الجنوب وهي مدينة عالمية ؛ ديتونا بيتش وتعد من أجمل السواحل في

العالم جينسفيل جاكسونفيل، تالاهاسي (العاصمة) ، ميلبورن ، تتألف ولاية فلوريدا من ٦٧ مقاطعة.. يزورهما ملايين السياح من الأمريكان ومن خارج الولايات المتحدة في كل عام ، يعتبر نهر " سانت جونز" أطول أنهار ولاية فلوريدا حيث يبلغ طوله ٤٥٠ كلم ، أما كبرى بحيراتها فهي بحيرة "أوكيتشوبي" التي تصنف ثاني بحيرة في الولايات المتحدة بعد ميتشغان تشكل الزراعة والصيد البحري قطاعين هامين أيضا في اقتصاد الولاية ، إضافة إلى إنتاج قصب السكر والبرتقال والفراولة والطماطم والذرة .. يعد قطاع الصيد البحري أحد أهم مداخيلها بما يزيد عن ستة مليارات دولار وتشغيل نحو ٦٠ ألف شخص.

وفي مجال الصناعة تشتهر فلوريدا ببيع الزوارق السريعة التي بلغت مداخيلها ٩٦ ,١ مليار دولار، إضافة إلى إنتاج الفوسفات بمنطقة" بون فالي " وسط الولاية.

تضم عدة جامعات شهيرة ، من بينها جامعة ولاية فلوريدا بمدينة تالاهاسي ، وجامعة ميامي، وجامعة فلوريدا بمدينة غينسفيل.. وتتوفر الولاية على وسائل نقل متطورة ، سواء الطرق السريعة ، أو سكك الحديد أو الموانئ والمطارات التي يصل عددها إلى ١٣١ مطارا منها سبعة مطارات دولية .

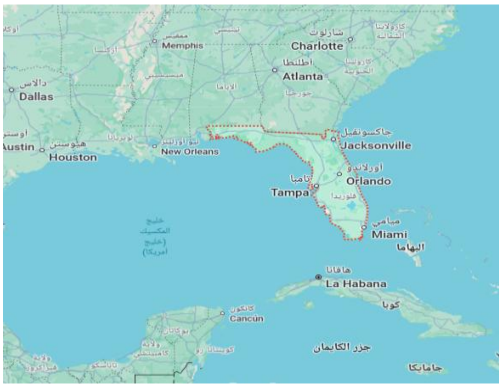
***

رجع ذات ليلة من رحلة قرب منتصف الليل ، لقد كان من عادته اذا تأخر إلى الليل أن يقضي الليلة في احد الفنادق الرخيصة ، فلما دخل الشقة وجد شريكته في حضن رجل من عمال المصنع فحدق ببصره بالرجل والمرأة فقال : آسف آسف إلى اللقاء وغادر الشقة ولم يرجع إليها وحاولت المرأة الاعتذار بظنها انه سيغيب الليلة أو غيرها فقال : اتفقنا ألا نمارس الجنس مع آخرين في الشقة . ولم يقبل اعتذارها وانتهت العلاقة الجنسية بينهما وإيجار الشقة المشترك .

***

انتقل للعيش مع شاب يعمل في مصنع الين حاله كحاله تخلى عن صديقته لرحيلها مع رجل آخر يكبرها بعشر سنوات ، وقد اتفق صافي وزميله على عدم جلب الفتيات باي صفة للزنا في

الشقة ، فقبل فيكتور الشرط ، وكل شيء مشترك بينهما مناصفة ، وكما ذكرنا اخذ صافي ينقل البضاعة إلى أسواق خارج الولاية بعد شهور من العمل في التوزيع ، وعادة يذهب معه شاب من قسم المبيعات ، وما هو إلا مجرد سائق للمصنع ، وبعض رحلات التوزيع والبيع قد تأخذ اكثر من يوم حسب بعد الولاية والسوق المقصودة ، وكانا يعودان حسب خطة سير العمل والوقت اللازم ، ذات ليلة كان عليهما أثناء العودة إلى المصنع أن يبيتا في فندق صغير على الطريق الرئيسي ؛ وليس هذا الأمر بجديد ، ولما دخلا النزل كان الوقت يقترب من نصف الليل فرحب بهما موظف الاستقبال وأعطاهما مفتاح غرفة لليلة واحدة ، فطلبا



طعاما ، فاتصل بمطعم يتعامل معه النزل ، ووعد الموظف بإرسال الشراب مع الطعام ، وذكر لهما اذا كانت لهما رغبة بالنساء ، فاعتذر صافي لتعبه ، ووافق البائع فذكر له الموظف غرفة خاصة لذلك اللهو ، ووعده بعد الطعام بإرسالها لتلك الغرفة مع شراب لتسهر معه ، فلما جلسا في الغرفة في انتظار الطعام والشراب للعشاء فقال الرفيق : هل تكره البنات ؟

ـ لا ، لكني فعلا متعب يا ادموند .. لما اخرج في رحلة كهذه ؛ ربما لاحظت انني ابتعد عن بائعات الهوى ..صحتي لم تعد قوية

وقبل أن يحضر الطعام دخل شاب مقنعا الغرفة يلوح بمسدس ويطلب منهم الغلة وكان معه آخر يقف أمام الباب المفتوح كحارس ، فقال صافي : الغلة في البنك .. لا نحمل فلوس البيع

ضحك الشاب قائلا : رأيتكم تدفعون لموظف الاستقبال

أخرج صافي محفظته وقال : انظر إليها وفعل ادموند مثله ففتش المحافظ فقال ادموند : نحن موزعون بضاعة من يشتري يحول المال لحساب الشركة لا نستلم المال .

سحب المقتحم ما وجده من المال ورمى عليهما المحافظ وقال : أين مفاتيح السيارة ؟

أعطاه صافي مفاتيح السيارة ، وانصرف الشابان بها كسبا واتصل صافي وادموند بأمن المصنع ورويا ما حدث معهما من سطو ، وبعد وقت حضرت الشرطة لأخذ أقوالهما ، وتم توقيف موظف الاستقبال متهما بالمشاركة معهما بالاعتداء المسلح ، وبالفعل ثبت أنه شريك لهما واعترف على أصحابه ، وقبل الفجر عادت السيارة والمال البسيط وغادر الشابان المنطقة بسلام وقد نجيا بأرواحهما ، وفي المصنع أعطيا إجازة ومكافاة .

***

كان من سياسة المصنع أي سيارة تتعرض لحادث كالذي حدث لصافي أن لا يذهب لتلك المنطقة ، فيعطى منطقة أخرى حتى لا يتعرض للانتقام من عصابة المنطقة لان اكثر الزعران يعملون ضمن عصابة ، لان مثل تلك القضايا لا يحكم على مرتكبها مدة طويلة في السجن ؛ وربما يكون الفعلة تابعين لعصابة ، فانتقل ادموند للعمل مع سائق آخر ، وصافي مع بائع آخر ، كلها إجراءات أمنية وقائية ، مضت الأيام في المصنع والتوزيع سلسة إلى حد كبير ؛ لأن الحياة لا تخلو من عقبات ؛ ولكنها تتفاوت بحجمها وقوتها ، ذهب صافي برحلة إلى ولاية جورجيا شمال فلوريدا ، لم تكن أول رحلة إليها بنقل بضاعة إلى عدد من المستوردين ودهمت الولاية عاصفة ثلجية كبيرة ، مما سببت بحادث لسيارة البيع وانقلابها ونقل إلى المستشفى هو ورفيقه ، وكان صافي متعاطيا للكحول أثناء القيادة عند الفحص والعلاج ؛ لأن هناك من الناس والسكارى يعتقد أن الكحول تسبب الدفء للجسم في أيام البرد .. نعم ، *الكحول قد يسبب شعورًا بالدفء في الجسم ، ولكن هذا الشعور غالبًا ما يكون زائفًا ومؤقتًا يعود السبب في ذلك إلى أن الكحول يعمل كموسع للأوعية الدموية ، مما يؤدي إلى تدفق*



المزيد من الدم إلى الأوعية الدموية القريبة من الجلد ، وبالتالي يسبب إحساسًا بالدفء على سطح الجلد ومع ذلك ، فإن هذا التأثير يقلل من تدفق الدم إلى الأعضاء الداخلية ويؤدي إلى انخفاض درجة حرارة الجسم الأساسية، مما قد يكون خطيرًا في الطقس البارد .

عندما يبدأ الجسم في استقلاب الكحول ، يتم توليد بعض الحرارة كناتج ثانوي ، مما يساهم في الشعور بالدفء .. بينما يشعر الجلد بالدفء، فإن الكحول يسحب الدم بعيدًا عن الأعضاء الداخلية، مما يؤدي إلى انخفاض درجة حرارة الجسم الأساسية .

الشعور بالدفء قد يدفع الشخص إلى خلع ملابسه أو تجاهل تدابير الحماية في الطقس البارد، مما يزيد من خطر انخفاض حرارة الجسم .

هذا من الخرافات الشائعة أن الكحول يرفع درجة حرارة الجسم الداخلية ، لكن الدراسات تُظهر أنه في الواقع يخفضها .

***

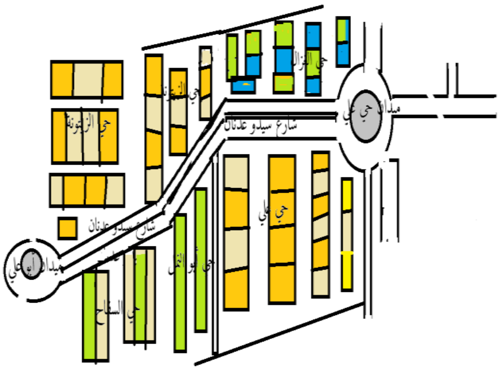
بعد هذا الحادث الرهيب قررت الشركة فصل صافي من العمل لعدم تقيده بتعليمات الإدارة ومنها السكر أثناء ساعات العمل بأي حجة كانت ، وأعطي مستحقاته وبعض التعويض المادي وحينئذ اتخذ قرار العودة للبلاد التي ولد فيها وترعرع فيها ، وبعد غربة طويلة لم يخرج منها بشيء مادي كبير في نظره ، وهذا غير الواقع فهو أثناء عمله في التوزيع كان يستغل ذلك لنقل المخدرات بغفلة من رفيقه البائع ، ويسلمها لمن يكون متفقا معهم ، ولما فك الجبص عن ساقه المكسورة ، ولم يعد له مكان في المصنع سافر إلى بريطانيا ترانزيت ، ومنها لبلده وحط رحله في فندق شعبي رخيص ليبحث عن أسرته التي تركها قبل ثلاثين سنة ، وهرب لليونان .. بعد هذه السنين تذكر زوجته وولده وابنته حتى اخذ يتذكر ما اسماهما ، وذهب في اليوم التالي لبيت والديه في شارع سيدو عدنان كما يتذكر .

***

عودة المهاجر

طرق الباب الذي يتذكره فقد عاش في شقة حي علي حوالي عشرين عاما بالتمام والكمال فخرجت له امرأة فوق الخمسين قدرها ، فقال لها بعد التحية : أهذا بيت عياد نشأت ؟

قالت بارتباك : من أنت ؟



أجاب قائلا : اذكر أن هذا كان بيتا لعباد نشأت .

ـ من أنت ؟!

قال : أنا ابنه صافي عياد .. كنت في أمريكا

قالت بدون تدقيق : آ ! أنت الابن العاق والهارب

ردد فقال باسما : العاق والهارب .. هذا بيته !

قالت : أنا امرأتك أبيك .. صوفة أمك ماتت قبل سنوات رحمها الله تعالى

تنهد بعمق وقال : أمي ماتت !

قالت وهي تفسح له الباب للدخول : تفضل تفضل .. نعم امك صوفة ماتت ..

دخل لغرفة الضيوف التي يتذكرها وقالت بصوت عال : ابنك الهارب يا عياد

قال عياد من داخل غرفة النوم : من ابني الهارب؟!

قالت : ألم تقل لي أن لك ولدا ترك زوجته وولديه واختفى اسمه صافي عياد يقول . أرشدته لمقعد وقالت : اجلس سآتي بأبيك فهو عاجز ومريض

بعد قليل جلبت المرأة رجلا بدا كبيرا في السن ، ويمشي ببطء ، ولما دخل الغرفة نهض صافي قائلا : أنا صافي يا أبي اشتقت إليكم

وعانق أباه واحتضنه وذاك يقول : أنت ابني !

ـ أنا ابنكم ابنك الذي ضاق من هذا البلد وهاجر ككثير من الشباب

ـ لكنه هاجر خفية وترك زوجة وطفلين

ـ لم تكن تحب أن أسافر يا أبي

فقال عياد لزوجته ذرية عزيز مشيرا الصافي : هذا الولد الفاشل الهارب من المدارس ومن الشغل واجبرني على تزويجه بابنة خالته شادية .. هل ذهبت لبيتك القديم؟ لعلهم ينتظرونك .

ـ امس حضرت ليلا .. سأذهب بعد زيارتك .. هل ماتت أمي كما قالت امرأتك؟

ـ رحمها الله ماتت حزينة على خيبتك وهربك دون كلمة وداع أو رسالة وأنت في تلك البلاد قيل لنا انك رحت لليونان للعمل في البحر

ـ من قال لكم ؟

ضحك أبوه وقال : اعملي شايا يا أم نواس .. أم نواس أرملة وانا أرمل فتزوجنا هي عندها خمسة شباب بنين وبنات وانا أنجبت سبعة ثلاثة ذكور واربع بنات .. كلهم متزوجون فكتب النصيب أن نمضي ما تبقى من العمر سوية .. وأما كيف عرفنا؟ من بعض من سافر معك لما عادوا خائبين من اليونان حدثونا عن خيبتك ورحيلك للبرازيل عن طريق إسبانيا وبعدها لم نعرف عنك خبرا جميلا أو قبيحا .. هذا يا أم نواس أول الأولاد زيجة فشل في المدرسة في أول الثانوي واشتغل في بقالة ثم في البناء والإعمار .. وأم رشوان زوجتي المرحومة زوجته من بنت أختها أم سليم حتى لا يفكر بالهجرة ، وبعد ولادتها لطفلين هرب وتركها تعاني ، ولم يترك لها فلسا واحدا حتى اضطررت أن انفق عليها أنا سائق التكسي الفقير .. ولكن الكريم هو الكريم درس رشوان محاميا وهو اليوم قاضي محكمة واخوه صدقي مدير شركة درس محاسبا

توقف حتى حضر الشاي وامتلأت الأكواب وقال مختتما الذكرى : هذه أخبارنا يا فالح وأنت ما فعلت في ربع قرن غربة ؟

بكى صافي وقال : من فشل لآخر .. ولا تغررك البذلة البراقة التي ارتديها هي مجرد ديكور .. رحم الله أمي كم بذلت لأكون صالحا !

قال : ولماذا عدت ؟

ـ ما أخبار أم نشأت ؟

ـ تزوجت وولدت خمسة غير أولادك .. فبيتك فارغ لو ذهبت إليه أو قد تجد فيه عيلة أخرى

ـ وابني وابنتي !

ضحك الأب وقال : ابنك تعلم الطب على نفقة الدولة وهو اليوم من الأطباء ، وابنتك درست هندسة حاسوب وتعمل مع عمها صدقي وكلاهما متزوج .. ألك زوجة هناك؟

ـ لا زوجة ولا أولاد

ـ عشت على الفاحشة والخنا

قال معللا : هناك لا يستطيع الرجل معرفة من هو ابنه .. فالنساء مشاع .. قليل من تراها شريفة ولا تخون

ـ أأنت زائر أم مقيم ؟!

ـ مقيم ، مللت الهجرة .. قضيت سنوات أصارع من اجل الحياة يا أبي .. العنف هو شعار الناس

قالت ذرية : هذا كلام الفشلة يا صافي ! .. لنا أقارب هناك ووصلوا إلى قادة وأصحاب ملايين

نظر إليها قائلا : يوجد يوجد .. العرب في البرازيل يزيدون عن مليون عربيا وتجدهم في كل أقطار الأميريكتين .. لم تكن الحياة سهلة قصدي يا أم نواس

قال أبوه : ماذا ستفعل هنا ؟

ـ سأعيش مثل غيري ، ما زلت احمل جنسية البلد

ـ أنت الآن نزيل الفندق !

ـ صحيح .. وانا لم اكن أظن انني سأجد شادية بدون زواج .. كان ابن عم لها يرغب فيها قبل خطبتي لها

ـ هو الذي تزوجها بعد هجرك لها .. سأعطيك أرقام تلفونات إخوتك رشوان وصدقي وابنك نشأت واخته صفاء آمل أن تجد منه ترحيبا .. مع انني أتوقع غير ذلك

***

خرج من بيت والده فقط بكوب من الشاي ، ولا دعوة لغداء أو مبيت ، وكان يعجب كيف ظل قابلا للعيش في شقته الصغيرة رغم أن ابنه الكبير قاضي وابنه الثاني مدير شركة ؛ ولكنه اجل فهم ذلك لجلسة أخرى إن تيسرت ، بعد خروجه اتصل عياد بابنه رشوان وذكر له عودة أخيه الهارب بعد كل هذه الأعوام ، فاندهش رشوان والذي كان يرجح موت صافي لاختفاء أحباره بعد رحلته من اليونان إلى البرازيل ، وكان صدقي يقول لرشوان هاتفيا : اتصل بك أبونا

ـ نعم واخبرني عن عودة صافي

ـ لم يمت هو إذن كما أشيع ! كل هذه السنوات ولا رسالة ولا برقية ولا سؤال عن ابنيه

ـ سيصابان بالصدمة اذا اخبرهما أبي ولابد انه اتصل بهما كما فعل معنا .

***

رن جرس فيلا الدكتور نشأت صافي فسمع صوت الانتركم يسأل فقال : أنا صافي عياد ؟

فقال الصوت : من؟ قلت من ؟

ـ صافي عياد والد الدكتور نشأت .

قال الصوت : والد الدكتور ميت لا تضحك علينا من أنت ؟!

ـ والد الدكتور هو أنا ولست بميت

ـ الدكتور لم يعد من المستشفى بعد

ـ متى يعود ؟

ـ لا ادري .. ربما نصف الليل وهل أنت أكيد والد أبي ؟!

ـ اسمح لي بالدخول

ـ ترفض أمي ذلك من يدرينا انك والد أبي؟ .. من أين أتيت ؟

ـ من أمريكا خذ رقم الفندق الذي انزل فيه .

***

جهاز الانتركم الداخلي (أو الإنترفون) هو نظام اتصال صوتي ومرئي يستخدم للتواصل بين

الأفراد داخل المباني ، مثل المنازل والشركات والمؤسسات يتيح للمستخدمين التواصل مع بعضهم البعض، والتحقق من هوية الزوار قبل السماح لهم بالدخول ، ويتيح فتح الأبواب عن بعد، مما يعزز الأمان والراحة ، أنواع أجهزة الانتركم الداخلية: الانتركم الصوتي: يتيح التواصل الصوتي فقط بين الأفراد . الانتركم المرئي: يتيح التواصل الصوتي والمرئي، حيث يمكن للمستخدم رؤية الزائر قبل فتح الباب . الانتركم اللاسلكي: لا يحتاج إلى أسلاك للتوصيل، مما يسهل تركيبه وتغيير مكانه . الانتركم الرقمي: يعتمد على تقنية IP ، ويتيح إمكانيات متقدمة مثل الاتصال عبر الإنترنت والتحكم عن بعد .. هذا ما هو متاح اليوم .

***

لما اغلق ابن ثروت ورشوان الانتركم تلفون البوابة رفعت الموبايل واتصلت بزوجها الطبيب العامل في مستشفى الحياة السعيدة ، فلما فتح الخط وبعد التحية قالت : رن علينا رجل مجنون زعم لنا انه أبوك الميت صافي عياد الميت من عشرات السنين

ضحك نشأت عاليا حتى لفت نظر من كان حوله فقالت : ما الذي يضحكك يا نشأت ؟

ـ هو فعلا أبي يا ثروت

ـ أبوك .. هو حي أبوك!

ـ ماذا يريد ؟

ـ جاء يسأل عنك .. ما القصة ؟

ـ القصة أن أبي بعث من جديد وعاد للحياة من جديد .. اتصل بي جدي يخبر بظهور أبي بعد كل هذا العمر ولما عدت للبيت ليلة امس كنت نائمة نسيت أن أخبرك صباحا

ـ أبوك ظهر حي ! ما موقفك من هذا الظهور ؟

ـ لا اعرفه ، ولا أريد أن اعرفه .. أبي تخلى عني وعمري اقل من سنتين .. فلست بحاجة اليه فليعد لأمريكا التي جاء منها

ـ هو كان في أمريكا !

ـ جوال في الأميركتين كما حدث جدي .. فلا تستقبلونه ابدا

ـ قصة عجيبة ! ظننت أن مجنونا يزورنا أو سكرانا يرن علينا

ـ إلى اللقاء بعد قليل سأغادر القسم

ووضع السماعة وقال ساخرا : أبي ! ما موقفك من أبيك؟

***

اخذ عنوان بيت ابنته من أبيه ، ورفضت استقباله ولم تعترف بأبوته فانصرف دامعا وقال : استحق ذلك فلماذا اتصل بهما ؟ ها هم عرفوا بأني حي يرزق وعدت للوطن .

واخذ يبحث عن شقة صغيرة يستر نفسه فيها ، وتيسر له ذلك بعد أيام ، وكانت الشقة في افقر شارع فرعي في حي الزيتونة اكبر حي يطل على الشارع ، وهو يتعجب من القدر ، غادر شارع سيدو عدنان وعاد للعيش في سيدو عدنان ، ولكنه سيكون عيشا مؤقتا ، وقرر الإساءة للعائلة التي ترفض الترحيب به ، فكان يبيع بعض الحلوى على باب البيت المطل على الشارع الفرعي حتى المساء ، ثم بذهب للسهر في احد مقاهي الحي ، ومن خلال المقهى انتشر خبر قصته في الشارع ، وسعى للزواج من أي أرملة أو مطلقة كبيرة في السن حيث لا تلد له اذا كان فيه قدرة على الإخصاب ؛ لأنه عانى من الضعف الجنسي في آخر أيامه في فلوريدا ، وذهب لكذا عيادة متخصصة في علاج الباءة .

***



الإشاعات المحرجة

لما وصلت الإشاعات للقاضي رشوان شقيقه الأكبر لصافي انزعج جدا من الخبر وقال لأبيه في زيارة خاصة : لعلك سمعت بمهنة ابنك الجديدة

ـ لم اسمع .. فأنا كسيح البيت وقليل ما يزورني الناس والأقارب وحتى الجيران

ـ استأجر العاق الهارب شقة في شارع ليلى الأخيلية في حي الزيتونة افقر شارع في الحي وأسوأه سمعة .. ويضع فرشا يبيع عليه الحلوى والكعك والبيض للأطفال والناس .. ويجلس على مقهى الزيتونة يتحدث عن عقوقنا وعن رفضنا الترحيب به والاستعرار منه .. ونسي عقوقه لأبنائه .

ـ وما المطلوب منا ؟

ـ لا ادري ! يقال بياع الكعك والبيض شقيق القاضي رشوان عياد ووالد الدكتور نشأت صافي

ـ وما المطلوب منا ؟

ـ نريد حلا لسمعتنا وحياتنا

ـ أخوك لا يصلح لغير هذا العمل .. ومن تلك الزيارة لم يقربني ، وعرف انني لا ارحب به وكذلك فعل أولاده .. وهو يعمل ذلك ـ والله اعلم ـ نكاية بنا لعدم الاهتمام به وبعودته وكل اغلق بابه في وجهه

ـ أنا ماذا افعل له ؟! وهل اجبر نشأتا أن يتحمل عيشه معه ؟ ونسيت من هي زوجته ؟ وهل اجبر صفاء أن يعيش معها وزوجها من هو ؟

ـ لم يكن الرجل الفاشل يرغب بأن يعيش معهم يا رشوان كان يسعى للتعرف عليهم فقط يا سيدي القاضي ..

ـ ولماذا لم يفعلوا ذلك؟

ـ لكرههم له ولتخليه عنهم رضعا .. فدعوه يتكلم ويصرخ ؛ وربما انتهى الكلام .. والناس لسوف تنسى

ـ هل هذا هو الحل ؟ هل علمت انه يبحث عن زوجة ؟

ـ أنت من قال لك ذلك أصلا ؟

ـ احد معارفي الذين يجلسون في مقهى الزيتونة ، هو تحدث معي مستغربا الحكاية وظن أن الرجل عنده انفصام في الشخصية أو معتوها يلصق نفسه بي ، وليس أخي ابن أمي وأبي .. فهم يعرفونه من وقت قصير .. وليس له قصة إلا الحكايات عن بطولاته في الأميركتين .. عامل نفسه سوبرمان الأمريكي .. والناس تظنه مجنونا يهذي ، ولكن بعض الناس القدامى تؤكد لهم انه اخونا .. وابن أمنا اوابينا

قال عياد بغير اكتراث : أنا شطبته من حياتي منذ فر هاربا من البلد ، تاركا زوجة وابنا وابنة في رقبتي .. فكما نسينا نسيناه

ـ لابد أن يتعرف عليه ولداه يا أبي فسمعتنا مهمة لنا اكثر من أهميته لنا يقال اخو القاضي رشوان بياع كعك وحلوى في الشارع ويعيش في خم دجاج

ـ ناقش الأمر معهم .. أتراه يصغي لي بعد أن هرم ؟!

ـ يرفضان مناقشة الأمر ورفضا فتح أبواب بيوتهما له

ـ أنت لا لوم عليك فهما أولى به

ـ اللوم يقع على الجميع .. لا رأي عندك سوى الإهمال

ـ كما عشنا كل هذا العمر بنسيانه .. سأكمل عمري بنسيانه .. ماتت امه وهي تبكيه وتتمنى رؤيته قبل الموت .. فلن يحن قلبي اليه واعذر نشأتا وصفاء بقسوة قلوبهم عليه .. واصبر ولا تكترث لما يشاع ويقال من الناس .. ولا تفتح فلبك لقيل وقال

***

لم يجد صافي امرأة تعيش معه باقي العمر كما يقول ، وهو أيضا غير متحمس للزواج للعجز الجنسي الذي يعاني منه ، ففكر باستئجار خادمة تخدمه ووجد أنها تحتاج لسكن خاص بها ، ولكنه تذكر انه لا يعيش في الغرب ، فسيقال الكثير من الكلام عليه وعليها .. فهو وحيد في

الشقة .. وبيع الفرش لا ينتج كثيرا من المال .. وهو لا يستطيع تكبير التجارة في الوقت الحالي فهي يشتري الكعك من مخابز الشارع والحلوى من دكاكين الشارع ، ورغم ما تحدث به عن نفسه أمام الناس وعن إخوته وأبنائه فلم يحرك الكلام أحدا ليتصالح معه منهم .

ربما اكثر شخص تضايق منه ومن أفعاله شقيقه رشوان الذي تنقل اليه الشائعات اكثر من غيره لكثرة معارفه في شارع سيدو عدنان بحكم أن قضى سنوات كثيرة من العمر فيه ، لأنه عمل محاميا في الشارع قبل أن يصير قاضيا ، وقدم خدمات قانونية للناس في طول وعرض الشارع فكان يفكر بحل لعودة شقيقه لحضن الأسرة ويترك بيع الحلوى والكعك ؛ ليعمل في وظيفة حسنة تترك انطباعا حسنا أمام الناس ، فقال لزوجته : ما الحل لهذه القضية الغريبة ؟

ـ هل حاول الاتصال بك ؟

ـ لا ، لما رأى الصد من قبل أبيه وأبنائه لم يقربني .. أنا والأخوات وصدقي .. فذكرت لصدقي أن يجد له عملا لائقا بالأسرة في شركته فرفض هذه الفكرة

قالت المحامية بهية : اذا كان عاقا لولديه فلا يجب أن نكون نحن عاقين له .. هل ناقشت نشأت بالأمر ؟

ـ حاولت فقال يا عم أنا ليس لي أب .. هكذا عشت كل هذه العمر .. وطلب عدم الحديث معه حول ذلك .. وكذلك ابنته

ـ هما معذوران ، لقد تخلى عنهما صغارا كليا حتى أننا عشنا على انه مات في أمريكا

ـ افكر باللقاء به .. حتى انه يعود للبيت ليلا ثملا يترنح في الشوارع لا يسكر في البيت فحسب فكرت وسألت : لماذا يتحدث معك الناس عنه ؟ لماذا لا يتصلون بابنه أو ابنته ؟

ـ لا ادري ! حتى أبي لا يكترث رغم انهم جيران ومن سكان ذاك الشارع المعروف

ـ ألا يسمع نشأت من الناس كما تسمع ؟

ـ لا ادري فكما تعلمين علاقتي بأبناء صافي من زمان علاقة باردة شغل مناسبات فقط .. لما تزوجت أمهم أخذتهم معها .. رغم أنها ابنة خالتي كانت علاقتي بهم باردة كما يقال ..فلا

يكنون لي أي احترام ؛ ربما البنت تختلف قليلا لأنها تعمل مع صدقي

قالت بحزم واقتراح : فلينتشر عقوق نشأت بين كادر المستشفى ؛ لعله يلين وتتفقون على حل مناسب للجميع

ـ سأفعل .. اعرف الدكتور زيادا سأزعم له أن ينصح نشأت بالاهتمام بوالده واذا لم يحدث شيئا سأتحدث مع غيره .. عليهم أن يتحركوا .. فالقضية قضية الكل

***

كان زياد الطبيب الأكثر قربا لزميله نشأت ، يقول لنشأت وهما يجلسان في كافتيريا المستشفى يأكلان ويشربان الشاي في فترة استراحة : سمعت أن أباك رجع من أمريكا .. اهو حي يرزق يا صديقي ؟.. الحمد لله على سلامته

قال بامتعاض واضح : الله يسلمك .. وللأسف اذا صح ذلك .. فأنا لا اعرفه ..عشنا كأننا أيتام.. غادر البلاد وأنا دون السنتين .. ولم يساعد بفلس واحد بتربيتنا .. تكفل بنا جدي أولا ثم زوج أمي .. تخيل زوج أمي

ـ لم تتواصل معه عندما رجع لليوم

ـ ولماذا أتواصل معه ؟ وأنت من قال لك ذلك ؟

ـ سمعت من الناس ، ولم اصدق ما قيل عنك من عدم ترحابك به ، وانك طردته من باب البيت شر طردة .. وسمعت أنه يبيع الكعك والزعتر والفلافل والبيض في احد شوارع حي الزيتونة .. فقلت والد نشأت يفعل ذلك ، وابنه من سادة الأطباء في البلد وشقيقه قاضي قد الدنيا لم اكد اصدق ما سمعت

ـ هو يفعل ذلك متعمدا

ـ متعمدا ولماذا ؟! حيرتني يا نشأت

ـ دعنا من سيرته .. مهما سمعت عنه لن ألتقي به فليس لي أب .. أبي مات وأشار لقلبه

ـ لا اعتقد أن هذا الحل الأسلم لسمعتك وسمعة زوجتك وأبنائك

قال بضيق وحشرجة : لا ادري لماذا رجع بعد كل هذه السنين وهو طفران ؟!

ـ الكثير من تغرب وعاد مفلسا ؛ بل الكثير فقد حياته من عصابات ومجرمي تلك البلاد .. نصيحتي لصديق من سنوات أن تفكروا باللقاء به وتضعوا النقاط على الحروف .. فهو لن يطلب منكم الكثير .. فكلما يمر شخص يقول له ابنك دكتور وحكيم وتبيع الكعك والحلوى عاجزون عن إعطائك بعض المال بدل الجلوس لبيع هذه الأشياء من اجل بضعة ليرات ودراهم

ـ من عبأ رأسك بهذه الأفكار الخبيثة ؟

ـ بعضهم يقول إن السبب زوجتك وهي التي ترفض تعرفك على أبيك

تنهد وقال : فليقولوا ما شاءوا سأبقى عاقا قل لمن قال لك ذلك

***

انتشرت قصة والد نشأت بين عناصر وكوادر المستشفى كالنار في الهشيم والحشيش الناشف وأن والده المهاجر قد عاد للبلاد وهو يبيع الحلوى والكعك أمام بيته المستأجر في شارع ليلى وهم عاجزون عن مساعدته وفقره ، فاتصلت أم فرح زوجة نشأت بالقاضي رشوان لتناقش معه مسألة والد زوجها وشقيقه ، في البداية قال : زوجك رفض مناقشة الحديث معي في الموضوع من سنة مضت حتى اصبحنا أضحوكة لكل سكان شارع سيدو عدنان

قال بصوت حزين : الإشاعات تتهمني يا دكتور بأنني امنع ابن أخيك من رعاية أبيه

ـ أنا أسف يا أم فرح ناقشي القضية مع زوجك ليس معي .. لو يقبل أخي مالا مني لأعطيته ليجلس في بيته يسكر على راحته .. فهو سيرفض أي إحسان مني ما دام له أبناء .. ولا اعتقد انه بحاجة لمال كما اسمع إنما يعمل ذلك تسلية ولتشويه سمعتنا ؛ لأننا لم نرحب بمجيئه

ـ هذا هو الصحيح .. فحتى عمي عياد يقول ذلك

ـ إذن تناقشي مع نشأت ، ثم نعمل أو نعقد اجتماعا لدراسة الموضوع .. فنشأت رفض الحديث معي منذ ظهر أبوه .. فهو ابنه شاء أم أبى .. وليس هو أول إنسان يترك أطفاله ويختفي فهذا حادث مكرور يا دكتورة

ـ حسنا عمي القاضي ! سأعاود الاتصال بك اذا لم تمانع

ـ أنا مثلكم احب حل مشكلة صافي حتى لا تؤثر على أولادي وبناتي بسبب أننا أغنياء ونعمل في مناصب مهمة .. ولو كنا من عامة الناس لما اهتم احد بسمعتنا وشرفنا

ـ شكرا إلى اللقاء

***

حاولت الدكتورة إقناع زوجها بالتخفيف من ردة فغله عن عودة أبيه للبلاد فقال محتجا : يا حبيبتي لا ادري ما شأنك بالموضوع ؟! أنا أبي ميت

قالت بحدة وقسوة : كلام فارغ ! أبوك حي ويعيش في شوارع سيدو عدنان .. وقبح فعله يؤثر فينا .. والد الأطباء والقضاة يبيع الكعك والحلوى على فرش خشب للأطفال .. كم دينارا يكسب من هذه الصنعة ؟ .. فأخوك رشوان يقول لو القضية فلوس أنا مستعد أن أعطيه ويجلس في شقته يسكر ؛ ولكنه كما يقول جدك يفعل ذلك للإساءة لنا من عدم ترحيبنا بعودته .. فقد كان هناك يعمل في تجارة المخدرات وبيع الكراك والكوكائين .. وعاش في عدة بلدان كما يحدث معارف جدك لجدك .

ـ رشوان تهمه نفسه فقط .. فليذهب اليه .. هو لم يذهب إليه ولا لصدقي والعمات ؛ كما حدثني جدي .. حاول التقرب إلي والى صفاء أختي فقط

ـ أنتما الأولى قبل غيركم ، حتى لو مات ستعود أمواله لكما اكثر من غيركما إن صح انه يملك مالا كما ينشر ويشاع

ـ والا من أين يسكر ويزني ؟!

ـ يزني!

ـ قيل إنه بحث عن زوجة منذ استقر هنا ولم يجدها .. من تقبل به؟ .. مجنونة من تقبل به زوجا الناس لا يحلو لها إلا نقل أخباره القبيحة لي ولأختي التي تكاد تنفجر من الغيظ والغل

ـ كلنا يقهرنا الغيظ من سمعته ونشر عقوقنا له .. والأقبح واتهم بأني انني أمنعك من الصلح

معه واللقاء به

ـ فليقوقوا ما شاءوا .. أنا قلبي لا يصفو للتعرف عليه وادعو أن يموت كما مات من قبل

قالت : سمعت احدى الزميلات تقول لي لو عاد مليونيرا هل تتخلون عنه لهذا الحد ؟

ـ ماذا نفعل ؟

ـ اجلس مع أعمامك وتناقشوا بحل لهذه القضية العجيبة

ـ لا تطاوعني روحي باي نقاش حوله

***

رتبت الطبيبة أم فرح لقاء مع القاضي وزوجته القانونية في بيتهم ، فرحب القاضي باللقاء ودهش لحماسها بالعمل دون زوجها الابن لصافي ولما جلسوا في مكتب القاضي ليلا وقدمت خادمة البيت القهوة لهم وتحدثوا عن أخبارهم الخاصة بعض الوقت قال : يبدو أن أبا فرح منزعج من حل القضية ..مع أن الكثير من الناس لا يرى أباه أو ابنه شهرا أو اكثر .. وهم في نفس البلد .. ولا احد يشكو من احد ، قد يذهب الإنسان في غربة وحده شهورا قبل أن يلتقي باهله وأولاده .. طبيعة الوظيفة والعمل اليوم تختلف عن الماضي البعيد لا نرى بعضنا إلا في الأعياد والمناسبات .. نكتفي بالتواصل بالهاتف واحيانا لا يجد الشخص وقتا للحديث مع أبيه أو أخته

قالت أم فرح : كلامك صحيح ..أمي أحيانا أراها كل يومين ثلاثة مرة ساعة زمان ..

قال زوجة القاضي : كما قال أبو عياد .. هو اللقاء بصافي كلقاء الجار بجاره كيف حالك؟ ما أخبارك لن يعيش معكم في البيت ؟ الشغل مهما كان ليس عيبا .. المشكلة يا أم فرح رجل له أبناء وأخوة يحسبون من الأغنياء أو الطبقة البرجوازية يعجزون عن تغطية نفقة كهل يبيع ليكسب القليل من المال ؛ فربما لما يعرف منه هو من قبلهم لا يصدقون أنه أب أطباء ومهندسين وقضاة وغير ذلك ، وكما يقول والد رشوان هو لا يسعى للمال اكثر منه مناكفة وتشويه سمعة الأسر أمام الناس

قالت : صحيح أنا لم يدر بخلدي لما طرق الرجل باب الفيلا أول ما جاء البلد انه والد نشأت ردت عليه البنت فقال الجهاز الصوتي أنا والد نشأت فظنّنا أن مجنونا أو ابله أو مشردا يتحدث معنا ، ولما انصرف اتصلت بنشأت فقال نسيت أن أحدثك أن جدي اخبرني بعودة أبي المهاجر حيا .. وقرر ألا يفتح له بيته .. فعلي أن اسمع ولست مستعرة منه أو اخشى على سمعتي منه فأنا مجرد زوجة ابن ، ولم امنع نشأتا من استقباله والترحيب به ، فهو لن يعيش في الفيلا بدون نقاش مع أننا لم نناقش هكذا مسألة .. حتى الخم الذي يعيش فيه كما اسمع لا يعيش فيه ابن طبيب ومهندسة .. وعند حماي لا يمكنه العيش فشقة عمي ليست كبيرة كما تعلمون .. وانتم أخبرتم من زمن بعيد أن حماي يرفض تركها لأنها امتلكها من حر ماله ، وله فيها ذكريات أيام السيارة وبصعوبة يقبل الراتب الذي تقدمونه له .

قال القاضي متنهدا : صحيح ! كثيرا ما عرضنا عليه العيش معنا أو في شقة فخمة .. ولكنها مقبولة اكثر من منزل صافي .. يعيش في تسوية أو قبو تحت العمارة يقول بعضهم يبدو أنها كانت مخزنا لصاحب العمارة .. وشارع ليلى الأخيلية أسوأ شارع في حي الزيتونة .. عمارة قديمة ؛ ربما عمرها نصف قرن .. افهم من زيارتك لنا أن زوجك يرفض علاج القضية مع أبيه

ـ ما زال يصر على موت أبيه المهاجر

قالت بهية : هو معه حق ! لقد كان هروبه قاسيا عليه وعلى أخته الرضيعة وأمه .. وما موقفها هي من عودة زوجها الأول ؟

ـ هي الأخرى تراه ميتا ولا ترحب برؤيته أو السلام عليه مع انهم أبناء خالات

قال : ما رأيك بالحل اللائق بنا كأسرة ؟

ـ تفاهم معه بأنك اخوه الكبير أو عن طريق حماي يعرض عليه استئجار بيت افضل من مسكن الدجاج ومصروفا شهريا نجمعه له ؛ لأنني علمت أن أي دار مسنين لا تقبل شخصا بمواصفاته

ـ أنا اكبر منه بسنوات يا أم فرح ، وفكرت بذلك العرض ، فسنه لا تقبله دور المسنين وهو

بصحة مقبولة ليس معاقا أو عاجزا عن الحركة ، فهو يذهب للمقهى والخمارة والسوق وغيرها من الأماكن ..إذن نكلف عياد بالتفاهم معه على السكن بشقة مناسبة لوحدته ومصروفا مناسبا وبعيدا عن فرش الكعك والحلوى

قالت أم فرح : اذا لم يفعل نشأت معنا شيئا فأنا نيابة عنه وبدلا منه فما يترتب عليه فأنا اقدمه

قالت : بارك الله فيك ولعل الأيام تحنن الأبناء عليه سيبقى ابن العائلة رغما عنا

***

ذهب صافي لزيارة أبيه عندما اتصل به على الموبايل مخبرا برغبته بمناقشة حياته البائسة التي أسأت للعائلة كلها ببيعه الكعك والحلوى والسكر في الشوارع دون خجل وحياء وهو والد طبيب ومهندسة وشقيق قاضي وأخوات متعلمات وأحفاد بصفات متنوعة ، ولما حضر الشاي قال أبوه : أنت تخليت عن أبنائك وامرأتك برغبتك وإرادتك .. والآن تسيء إلى سمعتهم وشرفهم بأفعالك الدنية لا تليق بعائلة محترمة ومتعلمة ولك سنتان تعيث في الأرض فسادا ما القصد من فعل ذلك؟ أولادك لا يرغبون بك أبا لهم .. وأخواتك وإخوانك مثلهم

ـ بكوالك.. لم اطلب منهم شيئا .. يا رجل رفضوا استقبالي ولقاء شخصي مجرد رؤية .. حتى لو فعلت بهم الأفاعيل أيام جهلي وطيشي ما كان يجب الإساءة إلي ألا يكفي اني خلفتهم.. لم تعجبني حياة البلد وهاجرت كما هاجر آلاف البشر لتلك البلاد

ـ أنت يا صافي قطعت التواصل معنا البتة .. لم تكن مجرد هجرة والبحث عن ثروة .. رحت اليونان ولم تبعث لهم رسالة تخبرنا باتجاهك ولا مالا لهم وحتى لي أجبرتني على النفقة عليهم

ـ لم يتيسر لي شيء أنا ذهبت لليونان أولا لجمع أجرة السفينة للبرازيل .. والان ماذا يريدون من أبيهم المجرم العاق الهارب ؟

ـ يريدون أن تعقل وتكون أبا لدكتور ومهندسة .. وأحفاد يعملون في الدولة والقطاع الخاص

ـ اسمع وانقل الرسالة .. لن أكون أبا لدكتور أو مهندسة أو عم أو خال لاحدهم قبل أن يلعقوا حذائي .. هكذا وصّل الرسالة لا أريدهم ولا أريد رؤيتهم لا هم ولا إخوتي وأخواتي

ـ لم تحاول زيارة إخوتك لما عدت !

ضحك لحظات وقال : هل سيفرح بي ابنك القاضي واخوه التاجر الكبير ؟! اذا الأبناء اغلقوا أبوابهم في وجهي .. كنت ذهبت لبيوتهم لاعتذر لهم عن التقصير نحوهم .. أما أولادك فهم الذين يجب أن يأتوا للسلام على الضيف والعائد .. أنت وحدك لك هذا الحق وفعلت من ثاني يوم جئت البلد .. كان يلزم القاضي أن يسلم عليّ هو وبناتك وأحفادك لا أنا أتجول عليهم

ـ بعض كلامك صحيح .. وهل بيع الكعك والبسكويت يغني ويسمن من جوع ؟ هذا الفعل سخف لك شهور تفعل ذلك هل اثر هذا على قلب أبنائك وإخوتك ؟

ـ ولما تلتقي بي اذا لم يؤثر فيهم بيع الكعك ؟

ـ هم مستعدون اذا القضية قضية مال أن يستأجروا لك شقة مثل الناس ، ويجعلوا لك راتبا كل مطلع شهر وتكف عن فرش الحلويات وبيع البيض للمارة والأطفال

ـ أنا لن ارضخ لهذه المطالب ولا تهمني سمعتهم وشهاداتهم .. أنا سأعيش على هواي ومزاجي وحسب كيفي .. أنا لي أبناء غيرهم هناك تركتهم ولم أسال بهم .. وانا لولا أمراضي الجنسية لتزوجت من جديد .. ولكنني قررت أن أغير من حياتي للأفضل

قال الأب بحيرة : تغير حياتك للأفضل كيف ؟! أنت تعود للبيت ثملا وسكرانا ويلحق بك الأطفال يسخرون منك جاء السكران جاء المسطول .. أنت تسيء لنفسك قبل أن تسيء للأسرة ما الأفضل الذي تتحدث عنه ؟ أسمعت يا أم نواس ؟

قال وهو ينظر لام نواس تهز رأسها : ستسمع به قريبا قل لهم ذلك

ـ دعني اسمعه يا ابن صوفة

ـ صوفة رحمها الله .. لن أسافر إلى أمريكا سأبقى هنا

ـ لم يطلب احد منهم سفرك أو تركك البلد

ـ ستعرف يا أبي .. عندي مال .. هل تحب أن أعطيك منه ؟

ـ أنت عندك مال ؟! وأنت تعيش في قبو عمارة وتبيع الحلويات والكعك

ـ لو أنت تستطيع الحركة لجعلتك مديرا للمصنع الذي أنشأته في غفلة عنكم

ضحك عياد وقال: يا ولد أنت صاحي ولا سكران .. لا تسرح بنا

ـ أنا صاحي يا أبي ! كانت هذه الأشهر اختبارا لكم جميعا ولكنكم فشلتم جميعكم حتى أنت

ـ ما المصنع الذي عملته؟

ـ قريبا سينتشر خبره علنا

ـ أأنت جاد يا صافي ؟

ـ أنا جاد أبا رشوان قل لهم لست بحاجة لشقتهم ولا لراتبهم

قال الرجل لزوجته : أتسمعين ما اسمع ؟

قالت وهي واجمة : والله سمعت كل ما قيل

***



حي السفارات

لما سمع الدكتور المحامي القاضي جواب صافي أصابته الصدمة وكذلك زوجته وزوجة نشأت

فقالت : أيسخر منا يا دكتور ؟

فأجاب : هكذا قال لابي لا أريد شقتهم ولا راتبهم

قالت المحامية : هل فقد أخوك عقله ؟

قال : قال لابي قريبا ستسمع أخباري الأفضل ، وخرج من عنده من غير الإفصاح عن الأفضل الذي يقصده ؛ بل عرض عليه المال



قالت الدكتورة : وهذه الإشاعات والسكر وبيع الكعك كلها سخرية يا رشوان!

ـ أنا مثلكم محتار .. كيف اخفى عن الناس بناء مصنع كما قال للوالد ؟ وكيف اقنعهم بفقره وسكره وعربدته في الشارع والترنح أمامهم بالسكر ؟ هذا الأخ أصابه خبل أو جن أوصل الكلام لنشأت؟

ـ لم يصدق ما نقلته لي من كلام عمي وقال هذه حيلة جديدة لنتقرب اليه

قالت المحامية : حيلة جديدة ! أيعقل ذلك ؟

***

اختفى صافي من الشارع مدة تزيد عن شهرين ، وقد علم أهل الشارع أن صافيا ترك البيت الصغير وترك بيع الكعك ، ولم يظهر في المقهى ، ولم يعد يرى يترنح في الشوارع عائدا مخمورا من وسط المدينة .. وزادت حيرة الناس وحتى الخلوي الذي كان معه لا يرد ؛ بل يخبر أنه مفصول ، انشغل الناس في شارع ليلى حي الزيتونة الشهير عن سبب اختفاء صافي عياد ، وأشيع أنه عاد لأمريكا ، وأشيع أنه رحل لمدينة أخرى ، وآخر زعم انه رآه في حي آخر يبيع

الكعك ، وقيل أنه مات ، وكثرت الاتصالات ببيت والده عياد ، يستفسرون عن سبب غيابه كل هذا الوقت ، وكذلك القاضي دهش لهذا الاختفاء الطويل ، ولا يمضي يوم دون أن يتصل



بأبيه سائلا عنه وعن أخباره وحتى الطبيبة زوجة نشأت شغلها الأمر ، فينكر الوالد سفره ، فهو لم يخبره بسفره أو يودعه ؛ إنما اخبره بأنه سينتقل لحياة افضل ، وذات يوم تلقى عياد هاتفا ؛ فكان من صافي فقال الرجل بحدة : يا رجل أين اختفيت ؟ الناس في المقهى وفي شارع ليلى يسألون أين رحلت ؟ أين سافرت ؟أين اختفيت؟ أين تلفونك ؟

رد قائلا : لقد وضعت في رصيدك مالا لتتصرف فيه كيف شئت ؟ هل حججت يا أبي ؟

ـ مال ! لم احج يا صافي بسبب ضعفي البدني واحتاج إلى معاون .

ـ حسنا ! سأرتب لك هذا الموسم معاونا .. ستحج أنت وامرأتك أم نواس .. وسأدفع لاحدهم أن يحج معك عن روح أمي ؟

ـ أنت تتكلم بجد ؟

ـ طبعا الليلة سأقوم بزيارتك بعد آذان العشاء

ـ أين تعيش ؟

ـ اشتريت بيتا لائقا بي وبالعائلة ..اذا تحب أن تراه وتعيش معي فهو بيت كبير

ـ أنت اشتريت بيتا أين ؟!

ـ في حي السفارات

ـ حي السفارات ضاحية القمر !

قال : بيت مناسب رغم قدمه .. وأكيد أنت تعرف تلك الأحياء لما كنت تعمل سائقا على تكسي أبي سمارة

صرخ عياد فهو يعرف ما هو حي السفارات منذ عمل سائقا متجولا في المدينة : نعم ، ضاحية القمر فحي السفارات احد أحيائها .. مات أبو سمارة مات رحمه الله أنت تعيش هناك

ـ أنا فعلا احب أن تعيش معي أنت وأم نواس وسأدبر لكما خادمة .

ـ هذا أنت غني فعلا أم تمزح معي ؟ لم اعد أتحمل السخرية والضحك

ـ أنا املك مالا كثيرا ؛ ولكني أحببت اختبار أولادك وأولادي لي سنتان بينكم وهو يرفضون زيارتي والحديث معي .. سأكتب كل الأموال للجمعيات ومؤسسات الأيتام

ـ حيرتنا يا ولد !

ـ سأزورك الليلة وجهز نفسك لزيارة مسكني أنت وزوجك

***

ولما انهى الاتصال رن بعد قليل هاتف البيت الأرضي؛ فكان القاضي فقال : هل من أخبار عن الابن العاق ؟



ضحك عياد وقال لابنه الكبير : قبل قليل تكلم معي وسيزورني الليلة

ـ بين أخيرا ! أين اختفى اللعين كل هذه المدة ؟

ـ اشترى بيتا في حي السفارات

اغلق الهاتف فجأة ثم عاد الاتصال قائلا : أين قلت يا أبي ؟!

ـ قلت اشترى بيتا في حي السفارات ضاحية القمر هكذا قال لي قبل دقائق وسياتي الليلة لأخذي اليه والعشاء معه والمبيت فيه

ـ هل جن ابنك يا أبي ؟ بياع الكعك والفلافل يعيش في حي السفارات والدبلوماسية والأجانب

ـ ما هو اجنبي مثلهم آخر سنوات الغربة قضاها في فلوريدا الأمريكية ويحمل جنسية أمريكا وقلت ذلك لك من قبل فهو متجنس

ـ وبيت القبو وبيع الكعك والعربدة في الشوارع

ـ اختبار كما يقول

ـ لا أكاد اصدق ما يقال سنراك قريبا .. الليلة سيأتيك

ـ وعدني بالحج السنة أنا وأم نواس

ـ أنت ضعيف يا أبي الحج فيه مشقة وتعب

قال : سيوفر لنا مرافقا وشخصا سيحج عن امه

ـ لقد طار مخي مما اسمع من خيالات لا اصدق كل ما سمعت

ـ الليلة سأفهم اكثر وسأتصل بك من مسكنه الجديد أو بعد رجوعي من عنده

***

وضع الهاتف والتفت لزوجته قائلا : أخي فقد صوابه ، لقد اتصل أخيرا بأبيه قبل اتصالي به

قالت : الحمد لله .. ما زال حيا وفي البلد لم يسافر

ـ لا ، قال لابي انه اشترى بيتا في حي السفارات

ذهلت المحامية وهتفت : قلت حي السفارات ! حي السفارات المعروف لنا

ـ هكذا قال لأبيه وسيمر عليه الليلة ليأخذه للمبيت فيه .. أبي سيبيت في حي السفارات

ـ كلام أبيك جد ولّا الثاني انهبل من كلام صافي

ـ وليس هذا فقط .. سيدبر لابي مرافقا ليحج به ويذهب آخر للحج عن أمي

ـ وذرية عزيز

ـ معهم

ـ هذا فيلم كبير !

بعد صمت قد طال قال حضرة القاضي : بدأت اصدق

ـ كيف ؟!

ـ أول ما جاء للبلد قد دخل عليه ببذلة تلمع كأنها تلبس أول مرة وقال لأبيه انه يملك المال وكان يبيع المخدرات والتجارة فيها والمخدرات تدر مالا كثيرا يا أم عياد !

ـ والكعك والبيض والخم والترنح في الشارع

ـ قال لأبيه اختبار للعائلة

ـ اختبار !

بعد آذان العشاء بساعة توقفت سيارة أمريكية آخر موديل دخل البلد أمام عمارة عياد فهو يسكن في الطابق الأرضي ، ونزل منها صافي وقرع شقة أبيه وفتحت زوجته فقال : مساء الخير هل تجهزتم ؟

قالت وهي تتابع بعينها سيارة صافي : هذه سيارتك يا سيد صافي !

ـ اجل ذا من فضل الله .. أين أبي ؟ هل تجهز ؟

ـ تفضل .. ينتظر قدومك ..وها هو يجر عربته

تقدم الشاب الكهل وسلم على أبيه وصافحه ، ودفع عربة الضعفاء إلى الخارج وترك ذرية تقفل الشقة ، ورفع أباه بجوار السائق وأجلسه على المقعد ببطء ، وصعدت المرأة في المقعد الخلفي وهما في حالة ذهول وصمت ، ووضع الكرسي المتحرك أو العجلة في صندوق السيارة ، وانطلق بهما صافي إلى ضاحية القمر التي تبعد عن شارع سيدو عدنان حوالي عشرين كيلو مترا ، ولما وقفت السيارة أمام القصر خرج خدم القصر الثلاثة ، بينهم البواب يستقبلون والد صاحب القصر رجلان وامرأة ، وحمل الوالد بعربته وهو يكاد يفقد الصواب مما يرى من نعم على صافي

***

قدم الخادم الآسيوي وزوجته الطعام المعد للضيوف وشراب الشاي ، ولم يأكل عياد كثيرا وقال كأنه في حلم أو متشكك : هذا البيت أكيد لك ؟!

ـ نعم ، اشتريته من شهور قليلة فقط ، وأما المصنع فقمت بإنشائه بعد ثلاثة شهور من عودتي كنت أتظاهر أمام الناس اني ذاهب للشراب في قلب المدينة ، لأتابع العمل خفية ، فعرفت المحب من الكاره ، فلم اجد محبا من أولادك يا أبي ولا من أبنائي خلال هذين العامين .. كلهم استعر مني .. فلا أريد أن أتصالح معهم .. أنت لأنك أبي ستبقى الصديق لي .. فأنا عشت عمرا ودهرا بدونهم فسأكمل الحياة بدونهم .. والحج كما وعدتك سأفعل بإذن الله وانا ارتب الأمر مع شيخ هذه المناطق الشيخ أبو عمر بهنس عبد الرحيم .. لقد جلست معه جلسة مطولة أفادني كثيرا .. واذا ثبتت على التوبة كما وعدت الشيخ بهنس المعروف في شارع سيدو عدنان

سيساعدني بإنشاء مسجد أو عيادة طبية مع آخرين صدقة أو وقفا عنك وعن أمي صوفة

ـ وماذا يصنع مصنعك ؟

ـ لابد لكما من جوله فيه ؛ لتحدث أبناءك عنه فالفضول سيدفعهم لذلك .. هو مصنع ألعاب بلاستيكية عرفتها في منطقة من فلوريدا .. ألعاب أطفال وقطع ألعاب للتركيب وكل فترة وأخرى سنضيف أشياء أخرى مثل ألعاب الحرب الطائرات الدبابات الجنود ولحتى الآن العمل جيد !

ـ ومن يديره أنت ؟

ـ تقريبا أنا .. هناك مهندس شاب يرأس الإدارة مؤقتا ورئيس قسم تصنيع ورئيس قسم تسويق وتوزيع .. التوزيع يتم بالتنسيق مع شركة توزيع خاصة مستقلة عن المصنع وله تقريبا سنة يعمل بعد شراء آلات التصنيع .. وتوفير مادة البلاستيك القادمة من عدة مصانع .. ولدي مخازن بعيدة عن المصنع ومستقلة عن إدارة المخزن

ـ لم اكن اصدق انك بهذه القدرة والذكاء !

ـ خبرة يا أبي .. اكتسبتها من خلال السنوات التي أمضيتها في البرازيل وكولومبيا ثم فلوريدا فصارت عندي أفكار .. فشرحتها للمهندس عريق محمد فاستوعبها ونفذها على ارض الواقع بكل حرفية واستيعاب

***

بعد استراحة العشاء والشاي رافق صافي ضيوفه في جولة في الطابق الأرضي وتقدمه إلى جناح فقال : هذا الجناح اذا قبلت الرحيل اليه فسأجري عليه بعض التعديلات وتعيش فيه أنت وزوجتك وسيكون لك مطبخك وغرفة الاستقبال وسيكون له مدخل خاص لضيوفك وزوارك وتكون فيه مستقلا وبيني وبينك باب صغير لنسهر معا فالقصر كبير

قال الأب صافنا : سأفكر بالأمر وأشاور إخوتك الذين رعوني كل السنوات الأخيرة التي مضت

ـ أيقدم لك أولادي شيئا ؟

ـ أولادك قلوبهم قاسية من قبل عودتك .. لا أراهم إلا في أعياد المسلمين فقط ..حتى لما امرض لا يعودونني بس على التلفون ؛ لكن رشوان وصدقي والبنات يصلونني ويصرفون عليّ ويتفقدوننا بين الحين والأخر وحتى أبناء زوجتي هذه يتصلون بها وبي .. وماذا سأفعل بشقتي التاريخية ؟

ـ أجرها أو بعها وسأدع وصية خاصة عند المحامي باسمك بكل هذا الجناح فأنا راغب بعيشك معي

ـ ألا تريد الزواج ؟

ـ حاولت وانا في سيدو عدنان ، ولم تقبل بي أرملة ولا مطلقة .. وانا ضعيف جنسيا بسبب أمراض تعالجت منها هناك .. لم أتزوج إلا مرة واحدة هناك زواجا مدنيا .. وولدت لي طفلة أخذتها أمها بحق القانون .. وولدت لي بنت هوا طفلة زعمت أنها مني وتركناها على مدخل كنيسة ؛ لأنني لست متأكدا أنها ابنتي .. وفي كولومبيا اللاتينية تزوجت فتاة والدها عربيا وحملت ولا ادري هو مني أو من غيري .. هناك لا تضمن صحة النسب .. فالزنا متفشي فتركت لها ولأبيها كل كولومبيا وهربت لأمريكا وهناك بدأت أخطط للعودة فعلا .. وهذا ما حصل في النهاية

ـ كانت حياة بائسة يا صافي

ـ كان عليّ أن أحياها .. وهناك المال العالمي مع الضياع

***

تناول عياد وذرية الفطور على مائدة صافي ، وهو يظن انه يعيش في أحلام الف ليلة وليلة ، وبعد شرب القهوة والشاي جاء بواب القصر مخبرا لصافي بوصول سائق المصنع ، فطلب من أبيه وزوجته الاستعداد لرؤية المصنع الذي يبعد عن الضاحية بحوالي عشرين كيلو مترا في مطقة مخصصة للمصانع والمدن الصناعية المشتهرة هذه الأيام ، ورحب المهندس وموظفو الأقسام

والسكرتاريا بوالد صافي ، وقام صافي بنفسه بدفع العجلة داخل عنابر خطوط الإنتاج بعض الوقت ، ولما تمت الضيافة والفرجة طلب من السائق أن ينقلهم لشارع سيدو عدنان وهو يقول لأبيه : اذا قبلت بالرحيل اتصل بي على الرقم الجديد الذي تحدثت معك منه أمس .. ووضعت لك في رقم الحساب عشرة آلاف دولار كدفعة أولى حتى لا يطمع بك أولادك وأحفادك .. ويصبحون كلهم فقراء وغلابة ومحتاجين

ضحك عياد وذرية ؛ فكلام صافي صحيح إلى حد كبير ، لما يحس الأقارب بتوفر مال مع احدهم فالكل يرغب بالاستقراض لفتح مشاريع أو شراء سيارة ، لما وصلوا الحي قام صافي بإنزال الوالد وحمله على العجلة وادخله الشقة ، وهو عاد للمصنع وقالت المرأة وهما يجلسان : شيء لا يصدق يا عياد ! هذا الرجل الذي زارنا قبل سنتين يملك كل هذه الثروة أم فيلم ؟

ـ فيلم ! كيف يكون كل هذا فيلما يا ذرية ؟! لا ، هذا حقيقة وانا فعلا افكر بالعيش معه بعد رحلة الحج إن حصلت .. واعتقد أنها ستحصل ما دام فيها بهنس

ـ قد لا يوافق القاضي وصدقي أو البنات على رحيلك قد عرض رشوان علينا اكثر من مرة تغيير الشقة

ــ لم يكن حازما مثل صافي يا ذرية .. الشخص يعرف كلام المجاملة من كلام الجد

ـ سيكثر زوارك يا عياد

ـ لا أظن ذلك .. من شب على شيء شاب عليه .. ولو حصل على الرحب والسعة .. فالجناح كما قال سيكون مستقلا عن باقي القصر .. ألك قريبات أرامل يقبلن العيش معه فلابد له من زوجة تعيش معه؟ .. وهل أنا قادر على المعاشرة مثل زمان ؟!

ـ أنا فكرت بذلك قبل عرضك أثناء وجودنا معه .. فهناك نساء كبيرات في السن لا يفكرن بطريقة صافي والضعف الجنسي .. الجنس فقط أيام السباب والخلفة

ـ سنجعلها مفاجأة منا اذا رحلنا .. وانا فعلا افكر بالرحيل حتى لو اعترض رشوان وصدقي كان هذا الحي كالحلم أيام الطفر والفر بالتكسي لتحصيل بضع دنانير آخر النهار .. كنت احسد

سكان مثل هذه الأحياء الراقية وأظنهم في كوكب آخر .. فصار لي ولد يسكن فيه ويدعونني للعيش فيه يا ذرية

ـ العيش فيه كالحلم يا أبا رشوان

ـ أنا استحييت أن احزم رغبتي رغم تكراره الرغبة وآرنا الجناح ليشجعنا

ـ على كل سيتصل بك القاضي .. فهو أكثرهم اهتماما بصافي وحياة الصافي خلال العامين الماضيين

***

اتصل رشوان ظهرا برقم أبيه ولما سمع بعض الحديث عن زيارة صافي قال : سأزورك مغربا واسمع التفاصيل التي لا تكاد تصدق .

دخل رشوان تتبعه زوجته بيت الوالد وبعد سلام وتحية قال داخلا في موضوع الزيارة : قلت لي إن صافيا اشترى قصرا في حي السفارات ونمت فيه ليلة أمس

قالت زوجة عياد : شيء لا يصدق اذا كان ما رأيناه حقا لصافي ! قصر من طابقين وواسع أفقيا

قالت المحامية : أتشكين بما رأيت ؟

ردت : كيف اشك وقد عشت فيه ليلة؟! بل أرانا جناحا قد يسكننا فيه بعد تعديلات وخادمة لخدمتنا وسيارة وسائق لنا

روى عياد ما رآه على مسامع ابنه البكر وأراهم صورا صورها على كاميرا الموبايل حتى أن رشوان قال بهز رأسه : رأيت هذا القصر من قبل وقال : هذا لصافي بائع الكعك والبيض

قالت أم نواس : كان اختبارا لكم وفشلتم كما يقول في الامتحان

قال عياد ضاحكا : رفض أي صلح معكم أخوة وأخوات وأبناء وأحفاد وشدد على ذلك قال لي سنتان هنا ولا احد فتح باب داره له .. وكلهم استعر منه قبل أن يبيع الكعك والبيض

قالت المحامية : بيني وبينكم معه حق ! نشأت اغلق باب بوجهه والمهندسة لم تظهر أي عطف تجاهه رغم أنها أنثى ويقال البنت عاطفتها اكثر من الرجل على أبيها .. ونحن لم نرحب بوجوده

لا ننكر ذلك ولو لا انتشار قصة التسوية التي سكنها وبيع الكعك والسكر لم نتحدث عنه بكلمة

قالت ذرية : جلس مع شيخ الحي بهنس وسيقيم مسجدا عن روح والده وامه

صاح القاضي : سيبني مسجدا أيضا شيء مدهش ! أموال المخدرات لا يجوز بناء المساجد منها

قال عياد : هذا ما قاله ، وهو منذ دخل البلاد لم يشرب خمرا ؛ إنما كان يتظاهر بذلك أمام الناس

قال تركت الخمر والمخدرات هناك فقد مرض منهما

قال المحامي : قصة مثيرة .. حقيقة يا أبي موقفنا صعب أمامه .. هل سترحل للقصر ؟

ـ افكر بذلك جديا .. فالرجل يلح بذلك

قالت : وهل سيسمح لنا بزيارة قصره؟

ـ سيكون المسكن شبه مفصول عنه بيننا وبينه باب قال لا يفتح إلا من داخل القصر

قالت بهية : عن نفسي ارحل يا عمي .. والحج ستحجان السنة كما اخبرني رشوان

قالت : وعدنا بذلك ، وذهبنا للمصنع الذي بناه ونحن نعتقد انه يبيع الكعك

قال : ما حكاية المصنع يا أبي ومتى بناه وشغله؟!

قال عياد : أنا ما زلت أظن أننا نعيش في حلم .. بدأ في إنشائه بعد ثلاثة شهور من عودته .. والمصنع يصنع الألعاب البلاستكية للأطفال فكرة أمريكية أو رأى مثله في أمريكا

قال القاضي مدهوشا : استفاد من غربته إذن

ـ نعم رأى مثله في الأميركتين .. وقال اذا رحلت يمكنكم زيارتي بأريحية فقلت له بعض الأخوات لا أراهن إلا في المناسبات وأولادك في الأعياد فقط .. وأكثرهم ترددا علينا رشوان وأبناء أمراتي هذه يزورون أمهم كثيرا ودائما

قالت المحامية : ارحل يا عمي ؛ لعل برحيلك وسكنك قربه تتغير القلوب

قالت ذرية : قد يحصل ذلك بعد حين .. صافي طيب ؛ ليس كما كنا نتصور .. لم يسمح لموظفي المصنع بدفع العجلة ونحن نتجول في أروقة المصنع قام ذلك بنفسه

قال الأب : سأتصل به واعلمه بقبول الرحيل والعيش بجواره آخر العمر ؛ بل افكر أنا وهذه

المرأة المحترمة بالبحث له عن زوجة تعيش معه .. فهو عاجز عن إتيان النساء ؛ بل له بنات هناك تخلى عنهن لشكه في نسبهم

قال القاضي : فعلا اغلب بنات الغرب لا يهتممن بالشرف وصحة النسب .. فهي تمكن أي رجل من نفسها ولو كانت زوجة قانونية ؛ ولذلك قضايا النسب مرتفعة عندهم بفحص دي إن ايه

***

قضايا النسب في الولايات المتحدة الأمريكية تشمل تحديد الأب القانوني للطفل في حالات عدم الزواج أو الشكوك حول الأبوة ، وتتضمن هذه القضايا تحديد المسؤولية المالية عن الطفل وإمكانية الحصول على حضانة أو زيارة .

في حال عدم وجود زواج ، يمكن للأب أن يقر بأبوته للطفل من خلال توقيع إقرار الأبوة أو من خلال حكم قضائي .. إذا لم يوقع الأب على إقرار الأبوة، يمكن للأم أو الطفل أو الوصي عليه أو إدارة الخدمات الاجتماعية تقديم طلب إلى المحكمة لإثبات النسب .

قد تطلب المحكمة المختصة بإجراء اختبار الحمض النووي لتحديد الأبوة بشكل قاطع .. بمجرد إثبات النسب، يصبح الأب ملزماً قانونياً بدعم الطفل ماليًا ورعايته، وقد يشمل ذلك دفع نفقة الطفل وتوفير الرعاية الصحية والتعليم . .قد تحدث حالات يُدّعى فيها الأبوة زوراً، مما يؤدي إلى مطالبة الأب بدفع نفقة الطفل وهو ليس الأب البيولوجي له .

في حالات الطلاق، قد يتم تحديد الأبوة القانونية للطفل من خلال إجراءات الطلاق ، وقد يتم تحديد من هو الوالد الذي سيتولى حضانة الطفل والآخر الذي سيدفع نفقة الطفل .

في الولايات المتحدة يُعتبر الأطفال المولودون خارج إطار الزواج أطفالاً شرعيين ، ويتمتعون بنفس الحقوق والمسؤوليات التي يتمتع بها الأطفال المولودون في إطار الزواج .

تهدف قوانين الأبوة في الولايات المتحدة إلى حماية حقوق الطفل وضمان حصوله على الدعم المالي والرعاية التي يحتاجها . . تتطلب القضايا المتعلقة بإثبات النسب اتباع إجراءات قانونية

محددة، وقد تختلف هذه الإجراءات من ولاية إلى أخرى .

تشير الإحصائيات إلى أن ما يقرب من ٥٠٪ من الزيجات في الولايات المتحدة تنتهي بالطلاق أو الانفصال . .هناك ارتفاع في نسبة الأطفال المولودين خارج إطار الزواج في الولايات المتحدة، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن ما يقرب من ٤٠٪ من الأطفال يولدون خارج إطار الزواج .

***



عياد في القصر

لما سمعت زوجة نشأت كلام المحامية عن صافي وقصره قالت : هل يمكن تصديق ذلك يا أم عياد ؟! صافي معه أموال كثيرة وكان يضحك على الناس ببيع الكعك

ـ قيل لنا ذلك منذ عاد ، ولم نصدق ما قيل حين سمعنا بفرش الكعك والبيض .. كل ذلك كان اختبارا للجميع .. وها هو جد الدكتور زوجك سيرحل للقصر قريبا كما فهمنا

قالت : قد يكون مستأجرا

ـ هو قال لهم انه اشتراه من شهور قليلة ، وأخذهما لزيارته وزيارة المصنع الخاص به .. وهل يستأجر قصر لشخص واحد ؟

ـ أيضا له مصنع ؟

ـ شيده بعد وصوله للبلاد بأشهر مصنع ألعاب بلاستيكية للأطفال والصغار

ـ يا له من داهية وماكر .. إن صح ذلك !

ـ وسيذهب حماي للحج السنة مع امرأته ومرافق ليقوم على رعايته ورفيق حج عن امه

ـ الله الله هل تمزحين يا بهية ؟!

ـ أبدا أبدا يا أم فرح .. انتهت مشكلة بيع الكعك والسكر

***

سمع صافي رغبة الوالد بقبول الرحيل للقصر والحياة فيه فقال صافي : سيكون ذلك قريبا يا أبي أنا تكلمت مع مهندس بناء لإجراء التعديلات المناسبة ، ولما شاهد البناء قال لا داعي للتعديلات سيقيم ملحقا مستقلا في القصر شقة نموذجية ومستقلة تماما في جزء من الحديقة وسيكون بينها وبين القصر مدخلا خاصا للتنقل بين القصر والملحق وستكون الشقة شبه قصر صغير غرفتين نوم ومطبخ أمريكي مع الصالون وغرفة ضيوف وثلاثة حمامات ومخزن تموين .. سيكون لها مدخل خاص لضيوفك وزوراك خاصة وغرفة خادمة بين القصر والملحق ستعجبك بإذن الله .. يقول حضرة المهندس افضل من عمل حواجز على تصميم القصر الأصلي

وسيضيف كوخا عند البواب لسائق خاص بك .. وعندما تعود من الحج - إن شاء الله - سنكون في التشطيب سيباشر العمل خلال الأسبوع كما اتفقت معه ومع شركته ويمكنك الرحيل اليوم قبل الغد ؛ ولكن التأخير والانتظار افضل حتى لا نسبب الحرج للأشقاء عند زيارتهم لك .. انتظر حتى تعود من الحج سالما بمشيئة الله

***

رتب الشيخ بهنس مع صافي رحلة حج عن أمه باستئجار حاج عن نفسه سابقا حسب فقه هذه المسألة ، ورفيق معاون لأبيه وامرأة أبيه ، وستكون الرحلة بالطائرة بالتنسيق مع شركة ترتيب الحج شركة محلية وكان الانتظار لليوم الموعود قد اصبح قريبا .. وقبل بداية الحج كان شركة البناء انتهت من بناء الملحق وبذات أعمال التشطيب بالبلاط والتمديدات الكهربائية والإضاءة والصحية والدهان وتركيب النوافذ والأبواب.. شغل متتابع ولما عاد الحجاج بدأ التأثيث والفرش وغير ذلك من لوازم المطبخ ، وغطي سطح الملحق بالقرميد الهرمي الأحمر.

***

لما سمع نشأت أخبار أبيه العجيبة مثل الآخرين لم يستوعب القصة بشكل دقيق ؛ ولكنه قال : لن انسى التاريخ رغم صعر سني عندما سافر ؛ لأنه طول كل هذه السنوات لم يسع للاتصال بنا وتذكرنا

قالت الطبيبة : أنا أحببت إخبارك .. وسيرحل جدك للعيش في القصر وسيبني الرجل مسجدا عن روح والديه كفارة عن هجرهما وقد عادا من الحج سالمين فاتصل بهما

ـ خلاص فشلنا في الاختبار كما قلت

ـ هذا ما حصل ؛ بل سمعت من المحامية انه وضع مبلغا بسيطا في حساب أبيه وسيزيده كل فترة ربما من فلوس وأرباح المصنع الذي يعمل من سنة واكثر ونحن مشغلون ببيع الكعك والحلوى

قال : اذا صح ما تقولون ..فهذا الرجل داهية وماكر شغلنا ببيع الكعك والحلوى

ـ لم يشغلنا هو ..الناس شغولنا بذلك ..جاء إلينا ولم نستقبله ولو نفاقا حتى فرضنا رأينا على العائلة .. ولو رحبت به أنت واختك لما رأينا الكعك والسكر

ـ هم مثلنا لا يريدون اللقاء به كان بيته معروفا في شارع ليلى وكان يمكنهم اللقاء به في بيت جدي .. دعينا من سيرته وحياته

ـ وهل يا ترى نستطيع الحياة بدون الحديث عنه وعن نشاطه وقد صار بيننا اسمه وقصته؟

ـ قد نستطيع يا ثروت ! قد نستطيع يا ثروت !

***

شيد المبنى الذي تحدثنا عنه وكان مبنى جميلا ؛ كأنه من القصر ، وكان له مدخل خاص من اجل ضيوف الوالد ، ولما رجع عياد من الحج ، كان البيت على وشك الانتهاء وانتهاء التأثيث بالفرش وما يلزم البيت من ثلاجة وغسالة وجلاية وأدوات الطهي والشراب للشاي والقهوة وعلى عياد اخذ ما يلزم من أشياء الشقة من الملابس والذكريات وترك الأثاث للجمعيات التي تهتم بالأشياء المستعملة ، وبعد الحاج بشهر كانت الفيلا الصغيرة تستقبل صافي وزوجته وبحضور بعض أولاد الأرملة والابن الأكبر رشوان ، وقدمت لهما الخادمة الخاصة الطعام والشاي والعصائر وحلوى المناسبة ، وساعدها خادما صافي بهذه المناسبة ، وكانت سهرة مثيرة لرشوان وزوجته وأولادهما الثلاثة الذين رغبوا برؤية قصر جدهم الجديد ، واتفق الوالد بالتخلي عن شقته ببيعها ورفض تأجيرها ومعافسة المستأجرين ومشاكلهم

***

وانشغل عياد لمدة أسبوع باستقبال المهنئين بالقصر الصغير والرحيل ، وعين سائق لعياد السائق القديم ، يبقى السائق في العمل من التاسعة صباحا للساعة التاسعة ليلا ، ويستريح وينام في الكوخ الخاص به ، وبقربه سيارة باسم عياد ، وبعد حين بدأ صافي بإقامة المسجد عن روح والديه بمساعدة الشيخ المشهور بهنس وبأموال من أرباح المصنع حتى لا يكون بينها أموال تجارة المخدرات ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا كما قال له الشيخ ، ورفض استقبال احد من

إخوته رغم محاولات فتح صفحة جديدة ، ورفض فكرة الزواج كما اخبره أبوه وزوجته .

قال عياد : الزوجة أنس للرجل يا ولدي !

قال : اعرف ، وكما أخبرتكم مرضت من النساء والفاحشة واخشى أن تكون طالبة رغبة وتحدث المشاكل والعلاج والأدوية

ـ مجتمعنا غير ذلك ؛ لا تقيس على نساء أمريكا

قال : النساء النساء يا أبي . . عرفت رجلا تعرض لحادث قاتل ، اصبح نصفه الأسفل مشلولا وعرض على زوجته الانفصال بعد خروجه من المستشفى ، فرفضت باسم الوفاء والحب القديم وله منها طفل واحد . . فبعد سنة أو اكثر قليلا لما خالطت الرجال في العمل وركوب السيارات حنت للرجال فطلبت الطلاق . . الرغبة اذا نشطت في الإنسان قضية كبيرة يا امرأة أبي .

قالت : الحياة تجارب يا ولدي . . هناك نساء نعرفهن صبرن حتى توفي أزواجهن المرضى ، ولم يتزوجن بعد موتهم ؛ ليس كل النساء والناس واحد

قال صافي : يوجد لا انكر ذلك ! الوفاء لا ينتهي . . احدهم تزوج امرأة غريبة عن بلده من قطر مجاور ، واعلمها واعلم أهلها عن عجزه من غشيان النساء ، وكانت هي أرملة وعندها أولاد مثلك ؛ ولكنها بعد اشهر عادت هاربة لبلدها ، لم تصبر على ضعفه وعجزه كما أخبرت في البداية وقبلت ، فارسل لها مؤخرها وطلقها

قال الأب : أثناء شغلي قديما سمعت قصصا نحو ذلك . . القضية حظ . . فلماذا لا تجرب حظك لعلك تجد مثل أم نواس . . أنا اعتقد أنني اضعف منك جدا

ـ وهل تجد أخرى مثل أم نواس ؟

قالت : أنا وجدت من تقبل فيك على ما تقول عن نفسك . . وأنت صغير يا صافي قد تقدر على ذلك ببعض الأدوية والمنشطات ؛ فهي لن تطلب منك ما يطلبه الشباب من قوة الطاقة والعشرة

ـ أنا ضعيف للغاية يا امرأة أبي . . تعبت جدا من الفاحشة حتى صرت أضحوكة لبنات الليل والعاهرات رغم أنهن لا يبحثن عن المتعة والشهوة ، هن يرغبن بالمال والتجارة ، قد تعاشر

عشر زناة في ليلة .. ومع ذلك يظهرن السخرية من الضعفاء مثلي

قالت : على كل حال اذا غيرت رأيك يا ولدي خالتك أم نواس في خدمتك

قال عياد : نحن مهتمون بذلك ؛ لأن هذا القصر الكبير يحتاج لأنثى تؤنس وحدتك وكهولتك

ـ سأشغل نفسي بهوايات مسلية .. قد ننشئ مصلحة جديدة

ـ مصلحة جديدة

ـ نعم ، نفكر بمصنع طاولات وخزانات وكراسي من مادة البلاستيك ، معي شركاء اثنان إخوان يودان ذلك

ـ أين ؟

ـ قرب مصنعنا ، هناك بجوارنا مصنع مات مالكه والورثة يرغبون ببيعه ، ونحن نتحاور ونجلس مع خبراء اقتصاد وعلى وشك إتمام الصفقة

اتصل البواب بالداخل فقال الخادم : يقول العم جُبار هناك رجل يرغب بالحديث معك سيدي

ـ ما اسمه ؟

ـ يقول اسمه المهندس مهند سعيد

قال عياد بسرعة : هذا اسم زوج ابنتك صفاء !

قالت : نعم هذا اسمه هل رأيته من قبل ؟

قال بدهشة : ماذا يريد هذا المساء ؟!

قال : لعله يرغب بالصلح أو حدث للبنت شيء

قال : سأتكلم معه صوتيا قل لجبار ذلك

***

القى مهند السلام على صافي وقال : احب الجلوس معك بضع دقائق اذا سمحت بذلك يا سيدي الفاضل .

قال : ما الموضوع ؟

ـ أنا صديق للمهندس عريق محمد مدير مصنع الألعاب الخاص بك وأرسلني للجلوس معك
ـ اعطني جبار
اخذ الصوت البواب الهندي جبار ، فأمره أن يدخل الرجل إلى مكتبه الأرضي ، ولما اخبره الخادم بأن الرجل في المكتب قال لأبيه وزوج أبيه : هيا بنا .. نتعرف على نسيبنا
وانتقل عياد للعجلة ودفعها صافي بهدوء للمكتب الأرضي ، ولما دخلوا كان مهند ما زال قائما فتقدم وصافح صافيا ووالد صافي جد زوجته صفاء وأم نواس فهما معروفان له ، فأشار له صافي بالجلوس وعرف الشاب بنفسه وقال : أنا آسف لتأخري باللقاء بك .. أنا عرفت صدفة من عريق انه يشتغل عندك .. للأسف ابنتك هي التي حجبت عني معرفتك وهددت بالانفصال وطلب الطلاق
دخل الخادم فطلب منه شايا للجميع فقال الشاب : كيف أنت اليوم يا أبا رشوان ؟
ابتسم عياد : أهلا مهند ! لعلي رأيتك مرتين أو ثلاث بعد زواجك من حفيدتي صفاء
قال : قد يكون ذلك .. علاقتي الاجتماعية ضعيفة أنا آسف
ـ لا عتب عليك يا ولدي العتب على الأحفاد ؛ ليس على أزواج وزوجات الأحفاد
قال صافي : لم توضح سبب الزيارة .. علمنا انك صديق لعريق هل تبحث عن عمل ؟
قال بارتباك : أنا مهندس نفس هندسة عريق مهندس ميكانيك وآلات ، لم اكن اعرف انك تملك مصنعا ، فأنا لا أرى عريقا كثيرا ؛ ولكننا درسنا سوية ، فاتصل بي من أيام مخبرا أن هناك مشروعا جديدا يحتاج لمهندسين ، ولما زرته في المصنع علمت لمن هو المصنع ؟ فأنا تفاجأت وهو تفاجأ أيضا بأنك والد زوجتي ، فاختصرت له قصتنا ، فأصابته الدهشة جدا ، ثم اخبرني بسبب الاتصال بأنكم ترغبون بإنشاء أو تحديث مصنع للصناعات البلاستكية وطلب مني اللقاء بك بما أننا أصهار
قال : صحيح ، قلت له نحن بحاجة لمهندسين آلات .. وما رأي زوجتك بعملك معنا ؟
ـ ترغب بالصلح وقد تقبل بالعمل معك ؛ فهي مهندسة حاسوب وبرامج الكترونية وتعمل

في مصنع شقيقك السيد صدقي عياد عمها
حضر الشاي وبعض الحلوى وقدمت للاب وامرأته أولا ثم للضيف وصافي فقال صافي : ما تقول يا أبي ؟
ضحك الأب : الصلح خير يا ابني ! وهي ابنتك أولا وأخيرا شاءت أم أبت
التفت لصهره قائلا : ما دام ابني عريق اتصل بك ، فهو اختيار موفق .. ولكن يا سيد مهند اذا رغبت ابنتي بالصلح بعد ثلاث سنوات من العودة ـ وحرك قدمه ـ وتابع : أنا قلت لابي لن أتصالح معهم إلا اذا قبلوا حذائي هذا .. هي واخوها وإخوتي وأخواتي .. اذا قبلت تقبيل نعلي فأقبل الصلح معها .. أنا لي أكثر من ثلاثين سنة لم أرها قل لها ذلك الشرط .. اشرب الشاي والعمل في المصنع الجديد لم يتحدد ؛ ربما قال لك عريق قصة المصنع الجديد
ـ أنا اعمل في شركة صناعية كبرى لست عاطلا يا سيدي عن الشغل ! لكنها بمبادرة من صديق الجامعة
ـ اشرب شايك وأهلا بك .. أنا لا ألومك أنت .. أنا لومي على أهلي وابنتي .. كان عليّ أن انتظر حتى تكبر وآخذ الأذن منها بالهجرة للعالم الجديد .. هناك تجد يا ولدي من كل أجناس الدنيا
ـ اعتقد يا سيدي اللوم مع احترمي لك على أم أطفالك
قال عياد : أحسنت يا ولدي نطقا !

***

بعد انصراف مهند قال الخادم : هناك امرأتان ترغبان باللقاء بك سيدي كما يقول جبار ، قال مرددا بحيرة : امرأتان ماذا تريدان ؟! بل ما أسماؤهما ؟
قال الخادم بحيرة أيضا : إحداهما تقول إنها كانت امرأتك والأخرى تقول إنها ابنتك .
التفت لأبيه وقال : شادية وصفاء هل كن معه ؟
قال الأب : ربما
فقال للخادم الطاهي : فليأت بهما جبار .. ها نحن في المكتب

بعد قليل اقبل بهما جبار للمكتب فلما رآهما صعق صافي وصاح : دينا شال !

ـ نعم أنت زوجتك الأولى في البرازيل دينا شال .. وهذه ابنتك صوفي

قال لأبيه سعيدا ومتعجبا : هذه ابنتي يا أبي سميتاها صوفي على ذكرى أمي

واحتضنها مقبلا بضع دقائق وقال : هذا جدك عياد

واحتضن دينا وقال : مرحبا بكما .. أنا لم تلقيت رسالتك ظننت انك تسخرين من الرحيل إلي

قبلت الفتاة جدها وزوجته وامر صافي الخادم بإعداد عشاء للضيوف وغرف النوم لهما ، وكان يترجم ما يتحدث به معهما لأبيه وامرأة أبيه ، وهما في دهشة من اللقاء فقال صافي : من شهرين اعتقد وصلت إلي رسالة من دينا تبين لي رغبة ابنتها بالتعرف على أبيها .. حتى انني استغربت من تلك الرسالة وشككت بصحتها ، وكان فيها رقم هاتف فاتصلت بها ؛ فكانت هي فرحبت بمجيئهما وشرح لأبيه وأم نواس قصة زواجه المدني منها ، ثم انفصالهما بعد زمن يسير وهي حامل بصوفي

ـ وكيف عرفت عنوانك هنا ؟

فقالت دينا موضحة : منذ افترقنا ، لم يعد بيننا تواصل فبعد الولادة حصل بعض التقارب من اجل حق الطفلة ورتبت المحكمة الحقوق المالية المطلوبة منه وعاد الفراق ، فأنا ابحث عن زوج جديد ، وأدخلت ابنتنا في دار رعاية خاصة وانا كنت اخدم في حضانة أهلية للجالية العربية في ساو ، وكان بيننا تواصل بسيط بسببها ؛ لأن دار الرعاية تأخذ عنوان الأب قبل الأم .. ولما هاجر لكولومبيا ضعف اتصاله بالمؤسسة ، ولم يعد يدفع شيئا ، واضطررت أنا أن ادفع ما استطيع ، ومؤسسات الهجرة والمهاجرين وطلب الجنسية تظل على معرفة بعنوان المهاجر وتنقلاته والأمر في أمريكا اسهل ، وعن طريق مصنع الملابس أخذت العنوان وكتبت له تلك الرسالة فهم يعرفون مكان الهجرة الأصلي لأسباب أمنية يقال

فقال صافي : ابنتي يا أبي تعلمت في الجامعة في ساو باولو ماذا درست صوفي؟

قالت الفتاة وهي تمسك بيد أبيها : معي ماجستير بيولوجيا في الأحياء البشرية

قال : وهي مطلقة أو منفصلة كما يحبون تسمية ذلك هناك

قال عياد : اعندها أطفال؟

قالت الفتاة : لا ، لا نقبل الحمل بسهولة لمَ يترتب عليه من إشكالات قانونية

قال صافي : أهلا بكما في بلدي ووطني .. وأنت يا دينا ألك زوج؟

ضحكت وأجابت : لا تركت الزواج من سنوات .. أنا كبيرة في السن على أبواب الستين ومستعدة للعيش معك .

ـ وتتركين الأهل هناك

ـ كل مشغول في نفسه

ـ أعندك أطفال من أزواجك بعدي ؟

ـ لم ألد إلا منك وحدك .. هناك طفل واحد يكفي يا صافي

قال بابتسامة : خلاص نتزوج ؛ ولكني عاجز جنسيا منذ تركت أورلاندو

ـ نفكر بالحل .. وأنا مثلك.. أنا اكبر منك كما تذكر

ـ والبنت!

ـ تزوجها من أقاربك .. هي تحب العرب فهي عربية الأم والأب

ترجم لأبيه وزوجته ما دار بينهما من الحوار وأصابهما السرور من فكرة الزواج ، فقال الأب : لا بأس من إعادة الزواج ما دامت ترغب بالعيش هنا .. وابنتك تتعلم في معهد لغة عربية وستجد من يتزوجها .

نقل لهن اقتراح الأب ، فقامت دينا بتقبيل يديه شاكرة ممتنة ، وبعد تناول العشاء ارشدهما للحمام للاغتسال ، وامر الخادم بإحضار حقيبتيهما من عند كوخ جبار ، فقالت أم نواس : سبحان الله !.. كيف دارت الدنيا بك يا صافي زوجة وابنة يملأن عليك القصر .. يصير فيه أنس وحياة .. النساء تعمر البيوت

قام الخادم بتوصيل العجوز الثمانينيي إلى قصره الصغير ، وصعد صافي لطابق غرف النوم

وطلب منه صنع القهوة له وللضيفتين ، وجلس في غرفة استقبال ينتظر إنهاءهما الحمام وارشدهما الخادم إلى غرف نومهما ، ونقل الحقائب إليها ثم أوصلهما إلى غرفة الاستقبال في الطابق الأعلى التي ينتظر فيها سيد القصر ، واقتربت صوفي من أبيها تعانقه من جديد وجلست بجواره وهي تقول : كم احبك يا أبي رغم بعدك عنا ! كم رغبت برؤيتك يا أبي ! كانت أمي كلما أذكرك واشتاق إليك تخرج لي البوم صور خاص بكما .. هل تحبني يا أبي ؟

ـ الحب الأبوي فطرة عندنا .. دين .. لكن حياة الغربة قاسية ومرة كما يقال .. وانا كنت وحيدا أصارع الحياة في بلاد المهجر .. فليس لدي وقت لملاعبة الأطفال .. ولم اكن احمل أي شهادة لما هاجرت لتلك البلاد النائية .. فعملي في المقاهي والملاهي والحانات والمخدرات .. حياة قد يموت الإنسان فيها في أي لحظة .. دينا تعرف قسوة العيش في تلك الديار للمغترب مثلي .. يعيش يومه فقط ، لا ينتظر يوما آخر .. وسنعيش معا بقية العمر ـ إن شاء الله ـ سنتزوج يا دينا هنا زواجا شرعيا ، لا يوجد زواج مدني في هذه البلاد

قالت : اعرف يا صديقي أنا عربية الأصول .. وانا لست طفلة أو شابة اليوم ..

ـ وانا ابتعدت عن الزنا منذ غادرت فلوريدا

ـ وانا لم اعد أمارس الحب من سنوات .. اكثر من عشر سنين ما نمت مع رجل

ـ إذن سنعيش بسلام ووئام مع هذه الوردة والابنة المحبة .. وقريبا سنعقد الزواج ونتأخذ غرفة لتكون غرفة نومنا

ـ بارك الله فيك ! ولا تنسى صوفي التي سميتها على ذكرى امك

ـ ألم تلاحظي كيف بكى أبي لما علم أن الفتاة اسمها صوفي ؟حتى امرأة أبي دمعت عيناها .. لقد لاحظت ذلك ..

***

اطلع صافي والده وزوجته برغبته بالعودة للزواج من دينا شال ، فبارك الأب وأم نواس له الزواج من أم صوفي فرحين بهذا الخبر وقال : ابنتك تلك عزباء

قال : عزباء وليست عذراء .. هناك لا يهتمون بعذرية الفتاة حتى ولو كانت بنت مسلمين ؛ ولكن يحرص المسلمون الذين عندهم بعض الالتزام الديني بإبعاد بناتهم عن ذلك الانحلال قدر المستطاع بالحسنى كما يقال .. فالكثير من المسلمين ذابوا في عادات المجتمعات تلك .. فلا يسأل عريس عن عذرية فتاة .. الزواج المدني المهم فيه السن القانوني والرضا من الطرفين

ـ الحمد لله على نعمة الإسلام .. هل ستعود للبرازيل صوفي؟

قال صافي ببطء : الآن لا تفكر بذلك .. سأدبر لها زيجة طيبة واذا نجحت زيجتها اعتقد ستبقى بيننا يا أبي .. فهي تحبني حبا لم اكن أتخيله أرأيت ؟! وكانت تقضي وقتا في تأمل صوري أيام عيشي مع أمها

قال متحمسا : أتحب أن اجتهد أنا وزوجتي بمساعدتك بهذا مشروع ؟

ـ لا بأس يا أم نواس المهم في النهاية للاختيار لها وليست لي

قالت : جيد يا أبا نشأت ! هل ستصالح ابنتك صفاء ؟

ضحك وقال : لا عداوة دائمة وأبدية .. اذا قبلت قدميّ كما قلت لزوجها سأنسى جفاءها بعدم السلام عليّ .. كانت شادية تزرع في قلوبهم بغضي الشديد .. امرأة حقودة

قال الأب : الفرقة والغيبة صعبة على الزوجة الشابة التي قبلت بك دون ابن عمها

عادت ذرية تقول : بلى من تقبيل الحذاء يا سيد صافي !

ـ أناقش أحدهم الموضوع معكم النهار هذا

قال الأب : تحدثت نفسها معنا .. راغبة بالإتيان للسلام واللقاء بك والصلح حتى أن ذرية قالت لها ابنته التي عاش معها في البرازيل دون أن يراها جاءت تعانق أباها ورؤيته يا صفاء

قال : قلت لها ذلك !

ـ نعم ، فنحن ذهلنا من مجيء ابنتك التي تركتها طفلة مثل صفاء تبحث عنك

قال الأب : كان مشهدا عظيما يا صافي .. مشهد أبكانا حقيقة

قال : لما وصلتني رسالة دينا استغربت تلك الرغبة من بنت تركها والدها رضيعة مثل صفاء

فرحبت بهما على الهاتف ، وذكرت لها عنوان القصر ، ثم تحقق ذلك الشعاع من الأمل ، وبينت لها ظروف الحياة في البرازيل التي تدفع الأب للتخلي عن ذريته ، فقبلت العذر وصرنا كأن لا فراق بيننا وخلال أيام سأعقد على دينا من جديد

قال الأب مظهرا فرحه : أتم الله عليك كل خير ونعمة .. أنا معجب بك يا صافي وأترضى عليك ، لقد صنعت لي ما لم يصنعه أخواك الأكبر منك .. لقد علمتك الحياة اكثر منهما .. كنت أراك افشل العيلة .. فاذا بك انجح القوم

ـ كل له حياته يا أبي! لقد أصابني هوس بالهجرة .. وفعلا لم تكن حياتي سهلة بين الوحوش

***

تزوج صافي دينا شال بحفل بسيط داخل القصر بأعداد قليلة من الأصحاب وعمال المصنع وكان حفلا خالٍ من الخمور والمسكرات ، ودعا عريق المهندس مهندا لحضوره ، فلبى الدعوة ولما سأله عياد عن البنت قال : ما زالت في حالة رهبة من لقاء والدها وقصة لعق الحذاء تزعجها قال : حاولنا رفع هذا الطلب؛ ولكن الوالد رفض ، فقلبه قاسي من هذه الناحية .. ولماذا لا تفعل ؟ فالناس تلعق أحذية الطغاة بصدر رحب .. ليس الآباء والأمهات

اصبح لصافي زوجة دون أن يسعى لذلك ، وقبلت به دينا على علاته ، فهي امرأة تكبره بستين فلم تعد عندها تلك الرغبة التي قد تدمر حياة الأزواج ، وأصبحت سيدة القصر ، ورتب لها معلمة تعلمها العربية هي وصوفي كل يوم عصرا

وكان صافي والأخوان ينشطان في تنشيط مصنع البلاستيك الذي اشترياه من الورثة ويعيدان تأهيله ، وكان المهندس عريق يتابع الإشراف على الإدارة والصيانة ، وقبل صافي بعمل زوج ابنته في صيانة المصنع وإدارته ، وكان ممثلا عن صافي في الإدارة وتمنى له التوفيق ، وكان عياد سعيدا بقبوله في إدارة المصنع طمعا بعودة صفاء لأبيها ، واستطاع المهندس عريق بإيجاد زوج لابنة صافي ، وقبلت به الفتاة بعد فترة تعارف قصيرة ، ثم عقد عقد الزواج الشرعي ، وكان الزوج مهندسا زميلا لعريق ومهند ومتخرجا معهما من قسم الهندسة ، متزوجا سابقا ومطلقا

لأسباب سياسية ، فهو مغرم بالسياسة والأخبار ، وبعد الطلاق لم يتزوج حتى حدثه عريق ومهند بذلك الزواج ، فبعد تفكير عميق استسلم لرغبتهما ، وتعرف على الفتاة ووالدها الذي عرفه منذ تعرف على عريق ؛ لأنه اشتغل معه فترة قصيرة أيام بناء المصنع ، وقدم صافي لابنته شقة زواج سجلت باسمها دون أي موانع من المهندس محمد بسام .

***

بعد شهور كان مهند بزيارة والد زوجته يقدم له تقريرا إداريا عن حركة العمل في المصنع ، وبعد انتهائهما من الحديث عن الشغل ، وأن الأمر يمشي حسب الخطط الموضوعة ، قال مهند وهو ينظر لزميله محمد بسام الذي حضر الجلسة بصفته مهندسا في المصنع : هل علمت أن صوفي حامل يا عمي الفاضل ؟

نظر صافي لأبيه وأم نواس حيث انتقلوا لصالون القصر بعد سماع شروحات التقرير الإداري للمصنع الجديد : أين هي ؟

قال محمد : جئنا من المصنع مباشرة قد تأتي .. نعم أخبرتني صباح اليوم بأنها قامت بفحص حمل وانها بفضل الله حامل

ـ مبارك يا مهندس خبر يفرح النفس حتى أبي وزوجته يبدو على وجهيهما الفرح

قالت : ولماذا لا نفرح يا سيدي بما يفرحك ؟

قال الأب : ما أحبار صفاء يا مهندس مهند ؟ ألا تزور أختها البرازيلية ؟

ضحك مهند وهو يترك كوب الشاي فارغا وقال : قمنا بالمباركة لهما يا عمي صافي .. لا ادري لما لديها تلك الرهبة من اللقاء بك !

ضحك صافي : لأنها محقوقة .. وتخشى من كلام شادية أمها

ـ أنا يا عم لا احب استخدام الشدة والتهديد لإجبارها على المجيء

قال الأب عياد : هذا الصواب .. اليوم ليس بالعنف تتصالح الناس .. وولدي صافي قلبه كبير وتعلم جيدا من الحياة .. وستأتي لحظة للصفاء والرحمة

استأذن الخادم مخبرا بأن ابنة صافي الأجنبية على الباب فنهض صافي مستقبلا لها ؛ ولكنه تفاجأ بوجود امرأة أخرى معها فرحب بهما وعانق ابنته صوفي وبارك لها الحمل فردت وقالت : هذه أختي صفاء يا أبي !

حدق فيها باكيا وقال : أنت صفاء بنت شادية!

ارتمت على الأرض تقبل قدم أبيها وهو يبكي وهي تبكي وقال : يا لك من قاسية القلب !

احتضنها باكيا أمام الجميع الذين هرعوا لمشاهدة المنظر فقال عياد : رحمتك يا الله !

تركت أباها وعانقت جدها وقالت باكية : أنا أحبكم .. أنا أحبكم

احتضنها ذرية وقالت : أبكيتينا يا صفاء تأخرت بالمجيء !

عادت تعانق أباها وهي تقول وتنشق الدموع والشهقات : تأخرت بالمجيء سامحني يا أبي .. سبقتني صوفي إليك .. لقد أحببتها وصار لأطفالي خالة تحبهم

قال صافي : هذه زوجة أبيك دينا أم صوفي

احتضنت زوجة أبيها وهي تمسح دموعها وقال : زوجك شهم وطيب شكرا للجميع .. جئت من فلوريدا شوقا لكم ولضمكم إلى صدري ـ رحمك الله يا أمي ـ جئتك متأخرا .. جئتك متأخرا يا أمي الغالية .

تمت حكاية صافي المهاجر بحمد الله

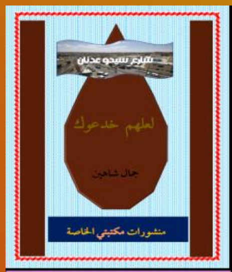
المحتويات


{هُدَىٰ اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ}

قصص شارع سيدو عدنان

١

لعلهم خدعوك





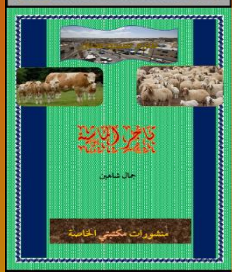
٢

غربة مهرب

٣

زوجتك ابنتي



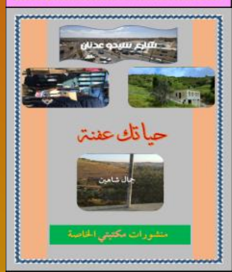


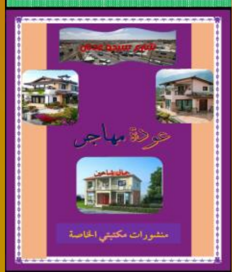
٤

تاجر الماشية

٥

حياتك عفنة



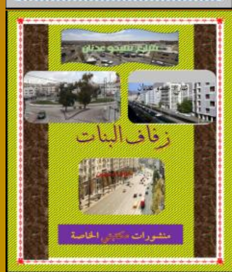


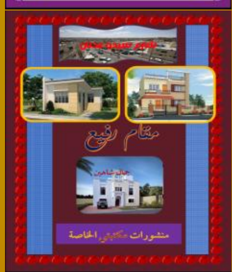
٦

عودة مهاجر

٧

زفاف البنات



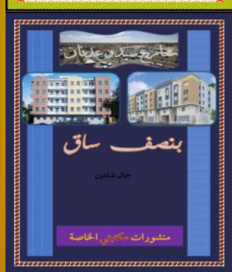


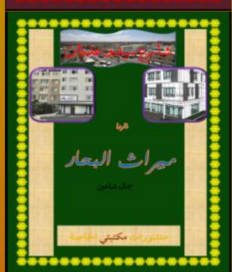
٨

مقام رفيع

٩

بنصف ساق



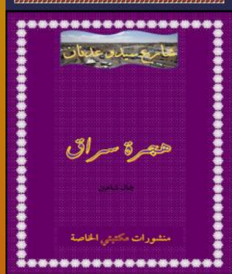


١٠

ميراث البحار

١١

هجرة سراق





١٢

عضو البرلمان

٦

كان الشباب من جيلي وحيي يكثرون لحديث عن الهجرة للأميركتين وان المال هناك بالشوالات والملايين ، فطمعت نفسي بالهجرة لتلك البلاد والغرف من تلك الملايين ،والدي يرفضان ذلك المشروع بقوة ، فزوجاني من ابنة خالتي طمعا بألا اهاجر ، وبعد ولادة ابنتي صفاء تمكنت من السفر و الهجرة بدون إذن احد وبدون علم احد .. هربت قل ذلك !

عودة مهاجر

وصلت البرازيل بعد جهد ،لم تكن الحياة سهلة فيها لمغترب جاهل مثلي لا احمل أي شهادة علمية ، كانت أيامي بين المقاهي والملاهي و المخدرات ، تزوجت فتاة امريكية من اصول عربية ولما حملت بابنتي صوفي ابتعدنا عن بعض بالتي هي احسن رحلت لكولومبيا وعشت بها سنوات مع ابناء العرب ، ثم هربت لفلوريدا جنوب الولايات المتحدة لما علمت أن زوجتي اللبنانية الأصل حامل ، كنت اكره حمل النساء في تلك الديار لعقدة نفسية وهي عدم الثقة بالنساء بعدم الخيانة الزوجية ، وكانت فلوريدا المحطة الاخيرة في رحلة الهجرة ، فبعد حادث صعب عدت للوطن وانتهت الغربة ، فوجدت القوم يبغضونني ولا يريدون التعرف علي خشية على مناصبهم المعنوية والأدبية ، ثم ابتعت قصرا في اهم ضاحية من ضواحي المدينة واستثمرت الأموال التي جمعتها في رحلة الغربة العجيبة ، وعادت لي ابنتي صوفي التي ولدتها دينا شال بعد انفصالنا في الغربة ، وتزوجت دينا من جديد ، ورجعت لي صفاء الطفلة الرضيعة قبل الهرب .. صافي عياد